

...افسدة

مِنْ نَفْسِهِ أَضْوَاءُ الْبَيِّنَاتِ

لِلْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ الشَّنْقِيطِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

تَقْدِيمُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الذَّكُورِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّجَّحَانِ

جَمْعُ وَإِعْدَادُ
د. أَحْمَدَ بْنَ بَرَكَاتِ الْهَيْفِيِّ

مَدَارُ الْقَيْسِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوَزُّعِ

...افادة

مِنْ نَفْسِهِ اَضْوَاءُ الْبَيِّنَاتِ

لِلْعَلَامَةِ مُحَمَّدٍ الْآمِنِ الشَّنَقِيطِي
رَجَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى

١٠٠٠ فائدة

مِنْ نَفْسِهِ أَضْوَاءُ الْبَيِّنَاتِ

لِلْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ الْأَمِينِ الشَّنَقِيطِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

تَقْدِيمُ
فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الذَّكُورِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّجَّحَانِ

جَمْعُ وَإِعْدَادُ
د. أَحْمَدَ بْنَ بَرَكَ الْهَيْفِيِّ

مِلَّةُ الْقَبَسِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ





الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أوتي جوامع الكلم، وبعد:

فإن تعليم العلم من أرفع الدرجات وأعظم القربات ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

قال بعض أهل العلم عند هذه الآية: الرفعة رفعتان؛ رفعة عامة لأهل الإسلام على سائر الناس، ورفعة خاصة لأهل العلم على سائر أهل الإسلام.

ومن أجل العلوم ما يتعلق بالقرآن، ولقد اعتنى علماء المسلمين بتفسير القرآن واستنباط ما بلغته أفهامهم من حكمة أحكامه وبيان وظائف السنة مع القرآن وما يتبع ذلك.

والناظر في كتب التراجم يرى عشرات بل مئات التراجم لأئمة التفسير من خلال العصور الماضية، ناهيك عن تراثهم العلمي في التفسير وما يتعلق به.

وفي هذا العصر المتأخر برز أئمة في التفسير، ومن الثلة المقدمة لهؤلاء المفسرين الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (رحمه الله تعالى) في كتابه «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» لا تخلو منه - غالباً - مكتبة طالب علم، فهذا الكتاب أودع فيه مؤلفه علماً غزيراً.

ولما كانت الهمم تضعف عن قراءة الكتب المطولة قام سعادة الدكتور أحمد بن براك الهيفي بتدوين ١٠٠٠ فائدة خلال قراءة الكتاب، ولقد أجاد الدكتور أحمد وأفاد في حسن اختياره وانتقاءه لتلك الفوائد.

وبما أن هذا البحث مادته العلمية فوائد منتقاة، فيقال في هذا المقام: إنَّ أفراد مصنف مستقل عن الفوائد سواء كان ذلك من خلال انتقاء من كتاب أو من ذهن المصنف أمر مألوف عند أهل العلم، والناظر في دواوين فهارس الكتب سيرى مصداق ذلك، ومن باب المثال لا الحصر:

- «الفوائد» لابن القيم.
- «بدائع الفوائد» لابن القيم أيضاً.
- «فوائد في مشكل القرآن» للعز بن عبد السلام.
- «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني.
- «توجيه القارئ إلى القواعد والفوائد الأصولية والحديثية والإسنادية في فتح الباري». جمع وترتيب: الشيخ حافظ ثناء الله الزاهدي.
- «الفوائد المنتقاة من فتح الباري» وكتب أخرى للشيخ عبد المحسن العباد البدر.
- «المنتقى من فرائد الفوائد» للشيخ ابن عثيمين.
- «الفوائد المنتقاة عن الشيوخ العوالي» لأبي الحسن علي بن عمر الحربي.
- «الفوائد المنتقاة الأفراد عن الشيوخ الثقات» لابن محمد بن خلف الواسطي.

- «الفوائد المنتخبة من الصحاح والغرائب» للمهرواني (المهروانيات) تخرّيج الخطيب البغدادي.

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة تتعلق فوائدها بعلم الحديث دراية في الأسانيد والجرح والتعديل وما يتبع ذلك.
وعوداً على بدء يقال:

إن القارئ والسامع لهذه الفوائد التي قام الدكتور أحمد بانتقائها، سيعجب من توقّد ذهن الشيخ الشنقيطي وتوسّع معارفه وحسن سبكه للفائدة، وأما الاستشهاد بالشعر فأية في الحفظ للقائل والمقول والشاهد من القول.

- ومما يؤكد ذلك التوسع المعرفي للشيخ الشنقيطي تنوع مباحث تلك الفوائد التي انتقاها د. أحمد الهيفي؛ فمن ذلك تأييد ونصرة مذهب أهل السنة ٨٣٦ - ٨٧٢.

- تعظيم شأن التوحيد ٨١٨ - ٨٩٦ - ٨٩٧.

- عن القراءات ٨٨٣.

- تفسير القرآن بالقرآن ٧٠٨.

- مفهوم المخالفة ٦٦٨ - ٧٧٤.

- الاستدلال بالعموم ٦٦٧.

- الاشتراك اللفظي واختلاف المعنى ٧١٣.

- الاستشهاد بضوابط اللغة العربية ٢٧٥ - ٢٨٣ - ٢٨٦ - ٤٠٤ -

٤٠٦ - ٥٠٨ - ٥٥٨ - ٧٣٤ - ٣٥٣ - ٧٧٨.

- الرد على بعض من يتكلف من المفسرين والعلماء في البحث

عن أمور لا طائل تحتها وليس لمعرفتها فائدة ٣٤٧ - ٥٩٢.

- إزالة الإشكال ووضوح البيان في بعض مسائل الأنبياء ﷺ مع تعظيم مقام النبوة ٥٩٤.
- ضوابط أصولية ١١٤ - ١٢٤ - ٧٦٤.
- دقة الاستنباط ٧٧ - ٩٦ - ١٠٨ - ١١٣ - ٢٨١ - ٢٨٧ - ٢٩١ - ٢٩٣ - ٤٤٤ - ٤٥١ - ٢٧٠ - ١٩٣ - ١٨١ - ١٤٩ - ٨٥٦ - ٨٨١ - ٨٩٢ - ٩١٣ وغالب تلك الاستنباطات من مقوله وقليل منها من منقوله مما يدل على إقراره لها وحسن نظره.
- فوائد طبية ٤٤٧.
- السبر والتقسيم ٨١٠ - ٩٦٦.
- عن الاقتصاد ٧٨٦.
- كلمات جامعة ٨٢٨.
- من عجائب البحار ٧٨٣.
- إلى غيره من الفوائد البديعة والنقولات النفيسة.
- وأقول هنا: - شكر الله لسعادة د. أحمد الهيفي جهده وعنايته وأحسب أنّ من ثمرات هذا الجهد المبارك:
- ١ - التوسّع المعرفي لجامع تلك الفوائد بارك الله تعالى فيه ولمن قرأ تلك الفوائد.
- ٢ - الترغيب في قراءة أو الرجوع إلى كتاب «أضواء البيان».
- ٣ - شحذ الهمم لتدوين الفوائد من المطوّلات.
- ٤ - كثرة الدعاء لمؤلف الكتاب وكذلك الدعاء لمنتقي الفوائد.
- ٥ - العناية بنفائس الفوائد المقروءة والمسموعة وعدم التفريط في ذلك فذلك صيد والكتابة قيده.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - : «كم من فائدة تمر بالإنسان فيقول هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها، لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها، أو يتجدد وقوعها وأحسن ما رأيت في مثل هذا كتاب «بدائع الفوائد» للعلامة ابن القيم، فيه بدائع العلوم، ما لا تكاد تجده في كتاب آخر، فهو جامع في كل فن، كلما طرأ على باله مسألة أو سمع فائدة قيد ذلك، ولهذا تجد فيه من علم العقائد، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة».

٦ - تقييد الفوائد ومراجعتها يعين على استحضارها والاستشهاد بها في مواطن البحث والنقاش، إلى غير ذلك من الفوائد القاصرة والمتعدية.

ختاماً أوصي: سعادة د. أحمد بأن يسلك هذا المسلك عبر استخراج الفوائد من المطولات وتقييدها لما في ذلك من الثمرات السابقة وغيرها. رحم الله تعالى الشيخ الشنقيطي وبارك الله في الشيخ أحمد^(١).

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

عبد العزيز بن محمد السدحان

١٤٤٠/٥/١هـ

(١) فائدة:

حدثني الأمير سعود بن محمد بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - أن الشيخ الشنقيطي - رحمه الله تعالى - كان يحضر مجالس والده الأمير محمد بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل - رحمه الله تعالى - وكان هذا الأمير معروفاً بل مشهوراً بالعبادة والزهد وكان يأنس كثيراً بزيارة الشيخ الشنقيطي لواسع علمه وزهده.
وكان الشيخ الشنقيطي يحثني على أن يكون لي نصيب من قراءة بعض كتب الأدب وأنها تزيد ثقافة طالب العلم وبخاصة في لغة العرب وأشعارهم.

= ثم قال لي الأمير سعود:
ومن العجيب أنني سألت الشيخ الشنقيطي عن بيت من الشعر فقال: لا أعرف قائله
ولا معناه!!
والبيت هو:
سقتها خروق بالمسامع لم تكن عِلاطاً ولا مخبوطاً في الملاغم
وبعد البحث والسؤال مني وإيضاح من الأمير سعود لي - رحمه الله تعالى - عرفت أن
البيت للفرزدق.
جاء في كتاب الكامل للمبرد:
الملاغم: العوارض
يقول: عَلِمَ أرباب الماء لمن هي - الأبل -
فسقاها ما سمعوه، من ذكر أصحابها لعزتهم ومنعتهم. ولم تحتج أن تكون بها سِمة.
والعِلاط: وسمٌ في العنق، والخباط في الوجه.
والشاهد من القصة بعد الفائدة العلمية هو تواضع الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى،
فمع سعة علمه وكثرة حفظه لشواهد الشعر، اعترف بعدم علمه بذلك البيت ولم
يتعالم.. وهكذا العلماء الربانيون رحمهم الله تعالى.



الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً،
والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي بعثه الله للعالمين بشيراً
ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد:

فهذا كتاب «١٠٠٠ فائدة من تفسير أضواء البيان للعلامة محمد
الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ»، جمعتها من خلال قراءة الكتاب مرتبة على
ترتيب المصحف من سورة الفاتحة إلى سورة الفتح، وقد كتبت
ترجمة مختصرة عن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ في بداية الكتاب.

وأهمية هذه الفوائد تأتي من أهمية هذا الكتاب الذي يعد أهم
كتب التفسير المعاصرة.

ولأن مؤلف هذا الكتاب هو العلامة المفسر محمد الأمين
الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ الذي قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة
العربية السعودية رَحِمَهُ اللهُ:

«ملئ علماً من رأسه إلى أخمص قدميه، آية في العلم والقرآن
واللغة وأشعار العرب».

وقال عنه الشيخ ابن باز مفتي المملكة العربية السعودية رَحِمَهُ اللهُ:

«من سمع حديثه حين يتكلم في التفسير، يعجب كثيراً من سعة
علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته، ولا يملُّ سماع حديثه».

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ:

«من حيث جمعه لكثير من العلوم، ما رأيت مثله».

وقال:

«يذكرني بشدة حفظه واستحضاره للنصوص بشيخ الإسلام ابن

تيمية».

وقال عنه الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ:

«لو كان في هذا الزمان أحد يستحق أن يُسمّى شيخ الإسلام

لكان هو».

كان العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ بحراً لا ساحل له في العلم،

وتعجب عندما تقرأ كتابه فترى انتصاره لمعتقد السلف الصالح تقريراً

وتأكيداً وردّاً على من خالفه، وعندما تقرأ آية تتعلق بها أحكام فقهية

مثل الحج فيبحر بك في فقه الحج حتى يخيل إليك أنك تقرأ كتاباً

من كتب الفقه.

وعندما يستشهد بأشعار العرب ترى أنك أمام شاعر أديب

جهبذ، وهكذا في علم القراءات والحديث وأصول الفقه والمنطق

وغيرها من العلوم.

رحم الله العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمة واسعة

وجزاه الله عنا خير الجزاء وجعل هذا العلم في ميزان حسناته.

وقد شجعني شيخنا الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد

السدحان حفظه الله لطباعة هذه الفوائد ونشرها، وأكرمني - أكرمه الله

وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة - بكتابة مقدمة لهذا الكتاب، ولا

أملك إلا أن أدعو له أن يجزيه الله عني خير الجزاء، وأن يجعله
مباركاً أينما كان... آمين.

كتبه:

د. أحمد بن براك الهيفي

العارضية - الكويت

١٤٤٠/٤/٢٨ هـ - ٢٠١٩/١/٤ م

البريد الإلكتروني:

abalhaifi@hotmail.com



ترجمة العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله تعالى^(١)

الإمام العلامة المفسر محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر ابن سيدي أحمد بن المختار الشنقيطي وهو من قبيلة حمير العربية، ولد بموريتانيا عام ١٣٢٥هـ حوالي ١٧ فبراير ١٩٠٥م مدينة تنبه في موريتانيا، حيث نشأ يتيماً فكفله أخواله وأحسنوا تربيته ومعاملته، فدرس في دارهم علوم القرآن الكريم والسيرة النبوية المباركة والأدب والتاريخ، فكان ذلك البيت مدرسته الأولى. ثم اتصل بعدد من علماء بلده فأخذ عنهم، ونال منهم الإجازات العلمية. عُرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة. اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده فكان موضع ثقة حكامها ومحكوميهها.. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ، ثم عين عضواً في مجلس الجامعة، كما عين عضواً في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في هيئة كبار العلماء ٨/٧/١٣٩١هـ.

• قال السخاوي: (من ورخ مؤمناً فكأنما أحياه)؛ أي: من ترجم له وأرخه.

(١) ترجمة: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي د. عبد الرحمن السديس.
ترجمة: تلميذه الشيخ عطية سالم، وهي مطبوعة في آخر أضواء البيان.

• ولد رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ عام ١٣٢٥هـ ونشأ يتيماً فقد توفي والده وهو صغير وترك له ثروة من الحيوان والمال، وحفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره، درس خلال حفظه للقرآن بعض المختصرات في فقه الإمام مالك. ودرس الأدب والنحو، والسيرة على زوجة خاله. قال الشيخ: أخذت عنها مبادئ النحو ودروس واسعة في أنساب العرب وأيامهم ونظم الغزوات.

• اهتمام والده الشيخ الشنقيطي به لطلب العلم:

قال الشيخ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ: لما حفظت القرآن الكريم وأخذت الرسم العثماني وتفوقت فيه على الأقران عنيت بي والدتي وأخوالي أشد عناية وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون؛ فجهزني والدتي بجملين أحدهما عليه مركبي وكتبي والآخر عليه نفقتي وزادي وصحبني خادم ومعه بقرات وقد هيئت لي مركبي كأحسن ما يكون المركب وملابس كأحسن ما تكون فرحاً بي وترغيباً لي في طلب العلم.

• كان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ، ثم عين عضواً في مجلس الجامعة، كما عين عضواً في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في هيئة كبار العلماء ١٣٩١/٧/٨هـ.

• مشايخه:

- الشيخ محمد بن صالح.
- الشيخ أحمد الأفرم بن محمد المختار الجكني.
- الشيخ محمد بن النعمة بن زيدان.

- الشيخ أحمد بن عمر.
- الشيخ أحمد فال بن آدو الجكني.
- الشيخ أحمد بن مؤذ الجكني.

• تلاميذه:

- الشيخ عبد العزيز بن باز، درس عليه في المنطق.
 - والشيخ عطية سالم.
 - الشيخ حماد الأنصاري.
 - الشيخ محمد صالح بن عثيمين.
 - الشيخ عبد الرحمن البراك.
 - الشيخ بكر أبو زيد.
 - الشيخ صالح بن محمد اللحيدان.
 - الشيخ عبد الله الغديان.
 - الشيخ عبد المحسن العباد.
 - الشيخ صالح الفوزان.
- وغيرهم الكثير الذين درسوا عليه في الجامعة والمعهد ودروسه في أنحاء السعودية.

• مؤلفاته:

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.
- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز.
- الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً.

- ألفية في المنطق.
- آداب البحث والمناظرة (وهو من الكتب المميزة للشيخ).
- خالص الجمان في أنساب العرب.
- نظم في الفرائض.
- مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر.
- من أجمل كتب العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ «دَفْعُ إِيهَامِ الْإِضْطِرَابِ عَنْ آيِ الْكِتَابِ» كتبه في خمس عشرة ليلة، وهي إجازة الامتحانات عام ١٣٧٣هـ.
- وكتاب «رحلة الحج إلى بيت الله الحرام» ألفه وهو في طريقه إلى الحج، طُبِعَ بعد وفاته بعشر سنوات.
- وغيرها الكثير، بالإضافة إلى المحاضرات التي ألقاها ونشرت في رسائل مستقلة.
- يقول عنه أحد طلابه - وهو الشيخ عبد الله أحمد قادري -:
«كان قوي العاطفة، يتفاعل مع الآيات، ويظهر لمن يراه ويسمعه أنه يفسر ويتفكر ويتعجب ويخاف ويحزن ويُسر، بحسب ما في الآيات من المعاني».
- «كان يُحرك يديه ويتحرك وهو على مقعده بدون شعور من شدة تفاعله مع معاني الآيات، فكان مقعده يزحف حتى يصل إلى المقعد الذي يقابله من مقاعد الطلاب».
- «وكان يدخل قاعة الدرس وهو مريض لا يكاد يستطيع الكلام من وجع حلقه، ولكنه بعد قليل من بدء المحاضرة ينطلق بصوته وينسى أنه مريض لشدة تفاعله مع المعاني التي يلقيها».

• قال عنه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته: ملئ علماً من رأسه إلى أخمص قدميه، آية في العلم والقرآن واللغة وأشعار العرب.

• وقال عنه الشيخ ابن باز: (من سمع حديثه حين يتكلم في التفسير، يعجب كثيراً من سعة علمه واطلاعه وفصاحته وبلاغته، ولا يملُّ سماع حديثه).

• قال عنه العلامة الألباني: (من حيث جمعه لكثير من العلوم، ما رأيت مثله).

وقال:

(يذكرني بشدة حفظه واستحضاره للنصوص بشيخ الإسلام ابن تيمية).

• قال الشيخ بكر أبو زيد: (لو كان في هذا الزمان أحد يستحق أن يُسمى شيخ الإسلام لكان هو)، (كان متقللاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية).

• قال الشيخ حماد الأنصاري: (له حافظة نادرة قوية، ويُعتبر في وقته نادراً).

• قال الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ: جزي الله عنا الشيخ محمد الأمين خيراً على بيانه هذا فالجاهل عرف العقيدة والعالم عرف الطريقة والأسلوب.

• جوابه عندما نصحوه بالزواج وهو منشغل بالعلم:

دعاني الناصحون إلى النكاح	غداة تزوّجت بيض الملاح
فقلت لهم دعوني إن قلبي	من العي الصراح اليوم صاحي
ولي شغل بأبكار العذاري	كأن وجوها ضوء الصباح

أراها في المهارق لابسات براقع من معانيها الصحاح
أبيت مفكراً فيها فتضحى لفهم القدم خافضة الجناح
أبحث حريمها جبراً عليها وما كان الحريم بمستباح

• الشيخ عطية محمد سالم وهو من أبرز تلاميذ الشنقيطي عندما كتب سيرة الشنقيطي... يصف درس العلامة الشنقيطي في الحرم النبوي يقول: كان درسه أشبه بحديقة غناء احتوت أشهى الثمار وأجمل الأزهار، في تنسيق الغرس وجمال الجداول تشرح الصدر وتشفي القلب وتروق للعين، فيستفيد منه جميع الناس ويأخذ كل واحد ما طاب له وما وسعه.

وقد رغب العلامة الشنقيطي بالتدريس في المسجد النبوي وكان يقول: ليس من عمل أعظم من تفسير كتاب الله في مسجد رسول الله، وتم ذلك بأمر الملك عبد العزيز.

• وقال الشيخ عطية رَحِمَهُ اللهُ: سألت الشيخ عن تركه الشعر مع قدرته عليه وإجادته فقال: خشيت أن أشتهر به والشعر أعذبه أكذبه.

• دعاء العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ من كتابه «أضواء البيان». اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه واجعل مثواه الفردوس الأعلى.. آمين

«ونرجو الله القريب المجيب إذ وفقنا لخدمة هذا الكتاب المبارك أن يجعلنا مباركين أينما كنا، وأن يبارك لنا وعلينا، وأن يشملنا ببركاته العظيمة في الدنيا والآخرة، وأن يعم جميع إخواننا المسلمين الذين يأتزمون بأوامره بالبركات والخيرات في الدنيا والآخرة إنه قريب مجيب».

• قال الإمام العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: لقد جئت

معي من البلاد بكنز عظيم يكفيني مدى الحياة: القناعة، وكان يردد:
الجوع يطرد بالرغيف اليابس فعلام تكثر حسرتي ووساوسي.

• وقال أيضاً: «لا توجد في القرآن آية قال فيها الأقدمون شيئاً إلا حفظته».

• قال الشيخ خالد بن عثمان السبت في كتابه «العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير» وهو يصف درس العلامة الشنقيطي رَحْمَةُ اللهِ فِي الْحَرَمِ النَّبَوِيِّ «ومع هذه الغزارة في المعلومات فقد كان الشيخ (رَحْمَةُ اللهِ) حين يلقي درسه كالسيل المنحدر، فهو يسرع في الإلقاء، وتتوارد عليه هذه المعلومات المتنوعة، التي تمده بها تلك الذاكرة النادرة، فيضع كل معلومة في موضعها، فتأتي متسقة مترابطة، كل ذلك في لغة عالية، لا لحن فيها ولا سوقية».

• قصة الشيخ ابن عثيمين مع العلامة الشنقيطي رحمهما الله:

يقول الشيخ محمد العثيمين (رَحْمَةُ اللهِ):

«كنا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض، وكنا جالسين في الفصل، فإذا بشيخ يدخل علينا إذا رأيته قلت: هذا بدوي من الأعراب، ليس عنده بضاعة من علم!! رث الثياب، ليس عليه آثار الهيبة، لا يهتم بمظهره، فسقط من أعيننا فتذكرت الشيخ عبد الرحمن السعدي، وقلت في نفسي: أترك الشيخ عبد الرحمن السعدي وأجلس أمام هذا البدوي؟! فلما ابتدأ الشنقيطي درسه انهالت علينا الدرر من الفوائد العلمية من بحر علمه الزاخر، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلماء، وفحل من فحولها، فاستفدنا من علمه وسمته وخلق وزهده وورعه».

• العلامة الشنقيطي انتهى في تفسيره أضواء البيان إلى سورة

المجادلة وأكمل تلميذه الشيخ عطية محمد سالم بقية التفسير
رحمهما الله.

• آخر آية فسرهما العلامة الشنقيطي رَحْمَةُ اللهِ فِي تَفْسِيرِ أَضْوَاءِ الْبَيَانِ:
﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

• قال الشيخ أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي في كتابه الماتع
«مجالس» ختم العلامة الشنقيطي تفسير القرآن الكريم في المسجد
النبي ثلاث مرات.

• توفي بمكة بعد أدائه لفريضة الحج في ١٧ ذو الحجة
١٣٩٣هـ الموافق ١٠ يناير ١٩٧٤، وصلي عليه بالمسجد الحرام،
ودفن في مقبرة المعلاة بمكة، وصلي عليه صلاة الغائب بالمسجد
النبي الشريف.



من فوائد الإمام العلامة
محمد الأمين الشنقيطي
في تفسيره أضواء البيان

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

١ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].
قال عليه السلام: «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»
رواه البخاري.

٢ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].
﴿الْحَمْدُ﴾: لاستغراق جميع المحامد وهو ثناء أثنى به تعالى
على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به.

٣ قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].
اشتقاق العالم من العلامة؛ لأن وجود العالم علامة لا شك
فيها على وجود خالقه، متصفاً بصفات الكمال والجلال.

٤ قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].
المراد بالدين في الآية: الجزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥].

٥ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].
أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى لا إله إلا الله:
لأن معناها مركب من أمرين: نفي وإثبات؛ فالنفي: خلع جميع

المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع.

٦ قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أي: لا نطلب العون إلا منك وحدك؛ لأن الأمر كله بيدك وحدك لا يملك أحد منه معك مثقال ذرة.

وإتيانه بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل إلا على من يستحق العبادة؛ لأن غيره ليس بيده الأمر.

٧ قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

واليهود والنصارى وإن كانوا ضالين جميعاً مغضوباً عليهم جميعاً، فإن الغضب إنما خص به اليهود، وإن شاركهم النصارى فيه؛ لأنهم يعرفون الحق وينكرونه، ويأتون الباطل عمداً، فكان الغضب أخص صفاتهم. والنصارى جهلة لا يعرفون الحق، فكان الضلال أخص صفاتهم.

٨ قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

قال عليه السلام: «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ وَالضَّالِّينَ النَّصَارَى».

٩ بين جلاله أن ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود في قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيهم:

﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]؛ وبين جلاله أن ﴿الضَّالِّينَ﴾:

النصارى في قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾**

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿١٠﴾ قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

ومعلوم أن المراد بالهدى في هذه الآية: الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق لا الهدى العام الذي هو إيضاح الحق.

﴿١١﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُفْقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

عبر بمن التبعية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله، وبين في مواضع أخرى أن القدر الذي ينبغي إنفاقه هو الزائد على الحاجة، وسد الخلة التي لا بد منها، وذلك كقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَآذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ﴾ [البقرة: ٢١٩] والمراد بالغفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها.

﴿١٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشْوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

والغشاوة: الغطاء على العين يمنعها من الرؤية، ومنه قول الشاعر:
هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

﴿١٣﴾ قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ

غِشْوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

الختم: الاستيثاق من الشيء حتى لا يخرج منه داخل فيه ولا يدخل فيه خارج عنه.

﴿١٤﴾ العرب تطلق لا شيء على ما لا نفع فيه، ألا ترى أن الله يقول في المنافقين: **﴿ضُفِّمْتُكُمْ عَنْ يَمِينِهِ﴾** [البقرة: ١٨] مع أنه يقول فيهم: **﴿وَإِذَا دَهَبَ الْخَوْفُ سَقَوْكُمْ بِاللَّيْسَةِ حِدَادٍ﴾** [الأحراب: ١٩]، ويقول فيهم: **﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾** [المنافقون: ٤]؛ أي: لفصاحتهم وحلاوة ألسنتهم، ويقول فيهم: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَدَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾** [البقرة: ٢٠]، وما ذلك إلا لأن الكلام ونحوه الذي لا فائدة فيه كلا شيء: فيصدق على صاحبه أنه أعمى وأصم وأبكم، ومن ذلك قول قعنب ابن أم صاحب:

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

﴿١٥﴾ قوله تعالى: **﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾** [البقرة: ١٩].

ضرب الله مثلاً لما جاء به محمد ﷺ من الهدى والعلم بالمطر؛ لأن بالعلم والهدى حياة الأرواح كما أن بالمطر حياة الأجسام.

﴿١٦﴾ قوله تعالى: **﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾** [البقرة: ١٩].

ضرب الله ﷻ في هذه الآية المثل لما يعتري الكفار والمنافقين من الشبه والشكوك في القرآن، بظلمات المطر المضروب مثلاً للقرآن.

﴿وَرَعْدٌ﴾ ضرب الله المثل بالرعد لما في القرآن من الزواجر التي تقرر الأذان.

﴿وَبَرْقٌ﴾ ضرب الله المثل بالبرق لما في القرآن من نور الأدلة القاطعة.

١٧ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧].

قال بعض العلماء: ﴿مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾؛ أي: مهلكهم، ويشهد لهذا القول قوله ﷺ: ﴿لَتَأْتِيَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ أي: تهلكوا عن آخركم.

١٨ قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

يكاد نور القرآن لشدة ضوئه يعمي بصائرهم كما أن البرق الخاطف الشديد النور يكاد يخطف بصر ناظره.

١٩ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ فيه معنى الإثبات من لا إله إلا الله. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] يتضمن معنى النفي منها على أكمل وجه وأتمه.

٢٠ أول نداء في المصحف يوجه إلى الناس جميعاً بعبادة الله كان

لاستحقاقه عبادته وحده؛ لأنه متصف بصفة الخلق، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

٢١ إحياء الأرض بعد موتها من أعظم الأدلة على البعث بعد

الموت، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢].

٢٢ قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

قال القرطبي: هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة.

٢٣ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾

[البقرة: ٣٤].

محتمل لأن يكونوا سجدوا كلهم أو بعضهم، ولكنه بين في مواضع آخر أنهم سجدوا كلهم ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

٢٤ قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ﴾ [البقرة: ٣٧].

لم يبين هنا ما هذه الكلمات وبينها في الأعراف: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢٥ من إطلاق الظن على اليقين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [٤٥] الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ [البقرة: ٤٥، ٤٦]؛ أي: يوقنون أنهم ملاقو ربهم.

٢٦ قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

فكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

٢٧ من الآيات الدالة على أن غير العقلاء من المخلوقات لها إدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه، قوله تعالى في الحجارة: ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

٢٨ قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

هو جبريل عليه السلام على الأصح، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

٣٩ قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

وَرَجُلٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فهذه الآية تدل على أن السحر موجود له حقيقة يكون سبباً للتفريق بين الرجل وامرأته.

٣٠ الآيات الدالة على أن الساحر كافر:

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٣١ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا

أَسْمُهُ وَاسْعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤].

فالخراب معنوي، وهو خراب المساجد بمنع العبادة فيها. وقال بعضهم: هو الخراب الحسي، والآية نزلت فيمن خرب بيت المقدس، هذا قول بعض العلماء، وبعضهم قال: نزلت في صد المشركين النبي ﷺ عن البيت الحرام في عمرة الحديبية، وعلى هذا فالخراب معنوي وهو خراب بمنع العبادة فيها.

٣٢ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾

[البقرة: ١٢٩].

وقد أجاب الله دعاء إبراهيم ﷺ في بعث الرسول المذكور ببعثه محمداً ﷺ قال ﷺ: «أنا دعوة إبراهيم».

٣٣ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

ونفَى الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوماً ما.

٣٤ لا يصف الله جلا، أعلم بالله جلا، من الله جلا، ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَوْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

٣٥ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي: خياراً عدولاً. ومنه قول زهير:

هم وسط يرضى الأنام لحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

٣٦ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أي: صلاتكم إلى بيت المقدس - قبل تحويل القبلة إلى مكة -.

٣٧ عن عروة قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: إني لا أظن رجلاً لو لم يطف بين الصفا والمروة ما ضره. قالت: لم؟ قلت: لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فقالت: ما أتم الله حج امرئ، ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة، ولو كان كما تقول، لكان: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما. [رواه مسلم]

٣٨ ما هي الحكمة من السعي بين الصفا والمروة؟

هاجر سعت بينهما السعي المذكور، وهي في أشد حاجة، وأعظم فاقة إلى ربها؛ لأن ثمرة كبدها، وهو ولدها إسماعيل تنظره يتلوى من العطش في بلد لا ماء فيه، ولا أنيس، وهي أيضاً في جوع، وعطش في غاية الاضطرار إلى خالقها جل جلاله، وهي من شدة الكرب تصعد على هذا الجبل فإذا لم تر شيئاً جرت إلى الثاني فصعدت عليه لترى أحداً. فأمر الناس بالسعي بين الصفا، والمروة

ليشعروا بأن حاجتهم وفقرهم إلى خالقهم ورازقهم كحاجة وفقر تلك المرأة في ذلك الوقت الضيق، والكرب العظيم إلى خالقها ورازقها، وليتذكروا أن من كان يطيع الله كإبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا يضيعه، ولا يخيب دعاءه وهذه حكمة بالغة ظاهرة دل عليها حديث صحيح.

﴿٣٩﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاِعٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِنْتِمَ عَلَيْهِ﴾

[البقرة: ١٧٣].

نقل القرطبي عن قتادة وغيره: ﴿غَيْرَ بَاِعٍ﴾ في أكله فوق حاجته، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها.

﴿٤٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَجِئَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٧٧].

أشار في موضع آخر إلى أن البأس القتال، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ [الأحزاب: ١٨].

﴿٤١﴾ من هدي القرآن للتي هي أقوم: القصاص؛ فإن الإنسان إذا غضب وهم بأن يقتل إنساناً آخر فتذكر أنه إن قتله قتل به، خاف العاقبة فترك القتل، فحيي ذلك الذي كان يريد قتله، وحيي هو؛ لأنه لم يقتل فيقتل قصاصاً، فقتل القاتل يحيا به ما لا يعلمه إلا الله كثرة كما ذكرنا. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْآلَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

﴿٤٢﴾ فائدة في أحكام نسخ القرآن: اعلم أنه يجوز نسخ الأخف بالأثقل، والأثقل بالأخف. فمثال نسخ الأخف بالأثقل: نسخ التخيير بين الصوم والإطعام المنصوص عليه في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى

الَّذِينَ يُطِيقُونَ، فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴿١٨٤﴾، بأثقل منه، وهو تعيين إيجاب الصوم في قوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿٤٣﴾ قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

لم يبين هنا هل أنزل في الليل منه أو النهار؟

ولكنه بيّن في غير هذا الموضع أنه أنزل في ليلة القدر من رمضان. وذلك في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدحر: ٣]؛ لأن الليلة المباركة هي ليلة القدر على التحقيق.

﴿٤٤﴾ قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فجميع الشهور من حيث الزمن سواء، ولكن بمناسبة بدء نزول القرآن في هذا الشهر جعله الله محلاً للصوم وأكرم فيه الأمة كلها بل العالم فتزين فيه الجنة، وتصفد فيه مردة الشياطين وتتضاعف فيه الأعمال.

﴿٤٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

دعائهم لا يرد؛ إما أن يعطوا ما سألوا؛ أو يدخر لهم خير منه؛ أو يدفع عنهم من سوء بقدره.

٤٦ قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[البقرة: ١٨٧].

المراد بما كتب الله لكم: الولد، على قول الجمهور وهو اختيار الطبري.

٤٧ قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

المراد بما استيسر من الهدى: ما تيسر مما يسمى هدياً، وذلك شامل لجميع الأنعام: من إبل، وبقر، وغنم.

٤٨ قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

[البقرة: ١٩٧].

والصيغة في قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ صيغة خبر أريد بها الإنشاء: أي: فلا يرفث ولا يفسق، ولا يجادل.

٤٩ عن ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون، ولا يتزودون،

ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا المدينة سألوا الناس، فأنزل **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾** [البقرة: ١٩٧].

قال ابن حجر في «الفتح» في الكلام على هذا الحديث: قال المهلب: في هذا الحديث من الفقه أن ترك السؤال من التقوى.

وفيه دليل ظاهر على حرمة خروج الإنسان حاجاً بلا زاد ليسأل الناس، وظاهرها العموم في كل حاج يسأل الناس.

٥٠ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ

رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

لا خلاف بين العلماء أن المراد بالفضل: التجارة.

٥١ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

أمر الله النبي ﷺ والمسلمين أن يفيضوا من حيث أفاض الناس وهو عرفات لا المزدلفة كفعل قريش وحكى الطبري عليه الإجماع.

٥٢ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].
يدخل في الذكر المأمور به: رمي الجمار بدليل قوله ﷺ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] وذلك يدل على أن الرمي شرع لإقامة ذكر الله.

٥٣ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣].
أن الحاج يرجع مغفوراً له، ولا يبقى عليه إثم، سواء تعجل في يومين، أو تأخر إلى الثالث، ولكن غفران ذنوبه هذا مشروط بتقواه ربه في حجه، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿لِمَنِ انْتَقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣].

٥٤ الجمرة في اللغة: الحصاة، وسميت الجمرة التي هي موضع الرمي بذلك؛ لأنها المحل الذي يرمى فيه بالحصى، وعلى هذا فهو من تسمية الشيء باسم ما يحل فيه. وقال بعض أهل العلم: أصل الجمرة من التجمر بمعنى: التجمع، تقول العرب: تجمر القوم، إذا اجتمعوا، وانضم بعضهم إلى بعض.

٥٥ قوله تعالى: ﴿رَبِّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢١٢].

لم يبين هنا سخرية هؤلاء الكفار من هؤلاء المؤمنين، ولكنه

بَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهَا الضَّحْكُ مِنْهُمْ وَالتَّغَامُزُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠].

٥٦ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

لَمْ يَبَيِّنْ هُنَا فَوْقِيَّةَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةِ، وَلَكِنَّهُ
بَيَّنَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ كَقَوْلِهِ ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾
عَلَى آلَائِكَ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤، ٣٥].

٥٧ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ
فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وَأَقْرَبُ الْأَقْرَبِينَ بَعْدَ الْوَالِدَيْنِ هُمُ الْأَوْلَادُ وَالزَّوْجَةُ، وَفِي
الْحَدِيثِ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِنْفَاقِ عَلَى الزَّوْجَةِ: «حَتَّى اللَّقْمَةُ يَضَعُهَا
الرَّجُلُ فِي فِي امْرَأَتِهِ».

٥٨ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُوكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ
أَسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] بَيَّنَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا وَحَصَلَ
لَهُمُ الْيَأْسُ ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

٥٩ فائدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩].

لَمْ يَبَيِّنْ هُنَا مَا هَذَا الْإِثْمُ الْكَبِيرُ؟ وَلَكِنَّهُ بَيَّنَّ فِي آيَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ
إِقْبَاعُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَالصَّدْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَعَنِ الصَّلَاةِ،
وَهِيَ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَيْرِ
وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩١].

٦٠ قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

المراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها على أصح التفسيرات.

٦١ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ظاهر عمومه شمول الكتابيات، ولكنه بيّن في آية أخرى أن الكتابيات لسن داخلات في هذا التحريم: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥].

٦٢ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

أي: لا تحلفوا بالله عن فعل الخير، فإذا قيل لكم: اتقوا وبروا، وأصلحوا بين الناس قلتم: حلفنا بالله لا نفعل ذلك، فتجعلوا الحلف بالله سبباً للامتناع من فعل الخير على الأصح في تفسير الآية.

٦٣ قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

المراد باللغو:

١ - ما يجري على لسان الإنسان من غير قصد كقوله: «لا والله».

٢ - أن يحلف على ما يعتقد فيظهر نفيه.

٦٤ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْدُو﴾ [البقرة: ٢٣١].

النهي عن إمساك المرأة مضارة لها لأجل الاعتداء عليها بأخذ ما أعطاهما؛ لأنها إذا طال عليها الإضرار افتدت منه.

٦٥ المطلقة قبل الدخول وبعد فرض الصداق تستحق نصف الصداق ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

٦٦ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال ابن كثير: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾؛ يعني: موسى ومحمداً ﷺ، وكذلك آدم.

٦٧ قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

يفهم من هذه الآية: أن طرق الضلال متعددة لجمعه الظلمات وأن طريق الحق واحدة لإفراده النور. قال ابن كثير: ولهذا وُحِدَ تعالى لفظ النور وجمع الظلمات؛ لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة.

٦٨ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أن الله لا يؤاخذ الإنسان بفعل أمر إلا بعد أن يحرمه عليه.

٦٩ استصحاب عدم الأصلي قبل ورود الدليل الناقل عنه حجة في الإباحة ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ما سلف؛ أي: ما مضى قبل نزول التحريم.

٧٠ من جمع المال بالطرق التي لا يبيحها الله ﷻ فلا خير في ماله، ولا بركة كما قال ﷻ: ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٧١ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الدَّرِكُ ؕ أَمْوًا إِذَا تَدَايَسْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُتِبُوهَ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ظاهر هذه الآية الكريمة أن كتابة الدين واجبة؛ لأن الأمر من الله يدل على الوجوب، ولكنه أشار إلى أنه أمر إرشاد لا إيجاب بقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٨٣]؛ لأن الرهن لا يجب إجماعاً وهو بدل من الكتابة عند تعذرهما في الآية فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجباً.

٧٢ وربما عمل الإنسان بما علم فعلمه الله سبحانه ما لم يكن يعلم، كما يشير له قوله تعالى: ﴿وَأَنقُضُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٧٣ مواطن الشهادة الواردة في القرآن:

- الإشهاد في البيع: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
- الطلاق، والرجعة: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢].
- كتابة الدين: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٧٤ منشأ الآثام والطاعات جميعاً من القلب؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ نَاسٌ فَلَسَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

﴿٧٥﴾ ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ لما قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَهْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله تعالى: «نعم».

﴿٧٦﴾ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الإصر: الثقل في التكليف.

ومنه قول النابغة:

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم والحامل الإصر عنهم بعد ما عرفوا



سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

٧٧ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].

وأما التوراة والإنجيل، فقد عبّر في نزولهما بـ: أنزل التي لا تدل على تكثير؛ لأنهما نزلا جملة في وقت واحد.

٧٨ قوله تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].

عبّر في نزول القرآن بـ: نزل بالتضعيف لكثرة نزوله.

٧٩ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

الغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يتول إليها كقوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

٨٠ قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

الراسوخ: الثبوت، ومنه قول الشاعر:

لقد رسخت في القلب مني مودة لليلي أبت آياتها أن تغيرا

٨١ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى

كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣].

نزلت في اليهودي واليهودية اللذين زنيا وهما محصنان ورجمهما النبي ﷺ.

فَذَمُّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلْمُعْرِضِ عَمَّا فِي التَّوْرَةِ مِنْ رَجْمِ الزَّانِي الْمُحْصَنِ، دَلِيلٌ قَرَأَنِي وَاضِحٌ عَلَى بَقَاءِ حُكْمِ الرَّجْمِ.

٨٢ قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بُسِرَكَ بَيِّنَاتٍ مُصَدِّقَاتٍ بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل

عمران: ٣٩].

ومعنى كونه مصدقاً بكلمة من الله: أنه مصدق بعيسى، وإنما قيل لعيسى كلمة؛ لأن الله أوجده بكلمة هي قوله: «كن» فكان.

٨٣ قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

وأصله من السواد وهو الخلق الكثير؛ فالسيد من يطيعه ويتبعه سواد كثير من الناس، والآية فيها دليل على إطلاق السيد على من ساد من الناس.

٨٤ قوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

أنه الذي حصر نفسه عن النساء مع القدرة على إتيانهن تبتلاً منه وانقطاعاً لعبادة الله، وكان ذلك جائزاً في شرعه وأما سنة النبي ﷺ فهي التزويج.

٨٥ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ

رُأْبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

كيف يستنكر وجود عيسى من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم؟!!

٨٦ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ

كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ

قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَحَدْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

دلت هذه الآية: أن الأنبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعاً له.

٨٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

فذكر هنا سبع خصال ليست لغيره من المساجد من أنه: أول بيت وضع للناس، ومبارك، وهدى للعالمين، وفيه آيات بينات، ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والحج والعمرة إليه.

قال الشيخ عطية محمد سالم: «مسجد قباء له ارتباطات عديدة بالمسجد الحرام: من حيث الزمن فهو أسبق من مسجد المدينة ومن حيث الأولوية النسبية فالمسجد الحرام أول بيت وضع للناس وقباء أول مسجد بناه المسلمون، والمسجد الحرام بناه الخليل، وقباء بناه النبي ﷺ، والمسجد الحرام كان مكانه باختيار من الله وشيبه به مكان مسجد قباء.

ومن حيث الموضوعية؛ فالمسجد الحرام مأمّن وموئل للعاكف والباد. ومسجد قباء مأمّن ومسكن وموئل للمهاجرين الأولين، ولأهل قباء، فكان للصلاة فيه شدة ارتباط بالمسجد الحرام تجعل المتطهر في بيته والقاصد إليه للصلاة فيه كأجر عمرة».

٨٨ قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

﴿خَيْرَ﴾ صيغة تفضيل، والآية نص صريح في أنهم - أمة محمد ﷺ - خير من جميع الأمم، بني إسرائيل وغيرهم.

﴿٨٩﴾ قوله تعالى: ﴿كَمَلِ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧].

أي: فيها برد شديد محرق؛ ومنه قول حاتم:

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا واقد ربح صر
عل يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حر

﴿٩٠﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].

أي: لا يقصرون في مضرتكم، ومنه قول الشاعر الجعدي:

وأشمط عريانا يشد كتافه يلام على جهد القتال وما اثلا

﴿٩١﴾ قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل

عمران: ١٣٥].

وقد دلّت هذه الآية على أن كظم الغيظ والعفو عن الناس من صفات أهل الجنة، وكفى بذلك حثاً على ذلك.

﴿٩٢﴾ عن ابن عباس: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قاله إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقاله محمد ﷺ حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] [البخاري].



سُورَةُ النِّسَاءِ

٩٣ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

[النساء: ٢].

أي: إثم عظيم، بين في موضع آخر مبلغ هذا الحوب:
﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْفُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

٩٤ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمَنِ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

وإن خفتم ألا تقسطوا في زواج اليتيمات فدعوهم وانكحوا ما طاب لكم من النساء سواهن.

٩٥ قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦].

إيتاء اليتامى أموالهم مشروط بشرطين: (البلوغ، إيناس الرشد). وتسميتهم يتامى في الموضعين، إنما باعتبار يتمهم الذي كانوا متصفين فيه قبل البلوغ، إذ لا يتم بعد البلوغ إجماعاً.

٩٦ قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

الرجل مترقب للنقص بالإنفاق على نسائه وبذل المهور لهن والبذل في نوائب الدهر، والمرأة مترقة للزيادة بدفع الرجل لها

المهر وإنفاقه عليها وقيامه بشؤونها، وإيثار مترقب النقص دائماً على مترقب الزيادة دائماً لجبر نقصه المترقب حكمته ظاهرة واضحة لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته.

٩٧ وقعة بدر آية؛ أي: علامة على صحة دين الإسلام ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ [آل عمران: ١٣].

٩٨ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَحِشَةُ مِنْ بَنَاتِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٥].

ويشترط في شهود الزنى أن يكونوا ذكوراً ولا تصح فيه شهادة النساء بحال، ولا نعلم أحداً من أهل العلم خالف في ذلك، إلا شيئاً يروى عن عطاء، وحماة أنه يقبل فيه ثلاثة رجال وامرأتان.

وقال ابن قدامة في «المغني»: وهو شذوذ لا يعول عليه؛ لأن لفظ الأربعة اسم لعدد المذكورين، ويقتضي أن يكتفى فيه بأربعة، ولا خلاف أن الأربعة إذا كان بعضهم نساء لا يكتفى بهم، وأن أقل ما يجزئ خمسة، وهذا خلاف النص؛ ولأن في شهادتهن شبهة لتطرق الضلال إليهن، قال الله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والحدود تدرأ بالشبهات.

٩٩ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٢].

أجمع العلماء على أن من عقد عليها الأب حُرِّمَت على ابنه وإن لم يمسه الأب.

١٠٠ قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

اعلم أولاً أن لفظ المحصنات أطلق في القرآن ثلاثة إطلاقات:
الأول: المحصنات العفائف، ومنه قوله تعالى: ﴿مُسْفِحَتٍ﴾ [النساء: ٢٥].

أي: عفائف غير زانيات.

الثاني: المحصنات الحرائر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَلَّيْنِ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]؛ أي: على الإماء نصف ما على الحرائر من الجلد.

الثالث: أن يراد بالإحصان الزوج، ومنه على التحقيق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْكَ بِفَحِشَةٍ﴾ الآية [النساء: ٢٥]؛ أي: فإذا تزوجن.

١٠١ اجتناب الكبائر يكفر الله به الصغائر قال تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَبَوْا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

١٠٢ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢].

يتمنون أن يستووا بالأرض، فيكونوا تراباً مثلها على أظهر الأقوال.

١٠٣ قوله تعالى: ﴿أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧].

اللعنة: الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

﴿١٠٤﴾ ظل الجنة ظليل: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

دائم: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

ممدود: ﴿وَزِلْ مَمْدُودٌ﴾ [الواقعة: ٣٠].

وظلال متعددة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١].

﴿١٠٥﴾ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَنَزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

[النساء: ٥٩].

وقد علم من قوله: ﴿فَإِنْ لَنَزَعْنَهُمْ﴾ أنه عند عدم النزاع يُعمل بالمتفق عليه وهو الإجماع قاله الألوسي.

﴿١٠٦﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾

[النساء: ٩٥].

﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ يفهم من مفهوم مخالفته أن من خلفه العذر إذا كانت نيته صالحة يحصل ثواب المجاهد.

﴿١٠٧﴾ القضاء في الكتاب والسنة يطلق على فعل العبادة في

وقتها؛ كقوله ﷻ:

﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ﴾ [النساء: ١٠٣] ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُ مَنَسْكَكُمُ﴾

[البقرة: ٢٠٠]؛ فالقضاء في هذه الآيات بمعنى: الأداء.

﴿١٠٨﴾ الذي يظهر لي والله تعالى أعلم في مسألة التوكيل على

الخصام والمحاكمة: أن الصواب فيها التفصيل. فإن كان الموكل ممن عرف بالظلم والجبروت والادعاء بالباطل فلا يقبل منه التوكيل لظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]. وإن

كان معروفاً بغير ذلك فلا مانع من توكيله على الخصومة، والعلم عند الله تعالى.

١٠٩ قوله تعالى: ﴿وَلَا مَرَهُمْ فَيَعْبَرْتِ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

يأمرهم بالكفر وتغيير فطرة الإسلام التي خلقهم الله عليها ويشهد له ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

١١٠ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فإذا حققت أن دعوة الرسل واحدة عرفت أن من كذب واحداً منهم فقد كذب جميعهم. ولذا صرح تعالى بأن من كفر ببعضهم فهو كافر حقاً.

١١١ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩].

أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك صريح في أن عيسى حي وقت نزول آية «النساء» هذه، وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب. ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نزوله إلى الأرض.

١١٢ وقد صرح بأن القرآن نور يكشف الله به ظلمات الجهل والشك والشرك، كما تكشف بالنور الحسي ظلمات الدجى كقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

١١٣ قوله تعالى: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦].

يُبيِّن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث لئلا يضلوا، فمن سَوَّى بينهما فيه فهو ضال قطعاً.

فاقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يؤثر الرجل على المرأة في الميراث وإن أدليا بسبب واحد؛ لأن الرجل مترقب للنقص دائماً بالإنفاق على نسائه، وبذل المهور لهن، والبذل في نوائب الدهر، والمرأة مترقبة للزيادة بدفع الرجل لها المهر، وإنفاقه عليها وقيامه بشؤونها، وإيثار مترقب النقص دائماً على مترقب الزيادة دائماً لجبر بعض نقصه المترقب، حكمته ظاهرة واضحة، لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته بالكفر والمعاصي. ولذا قال تعالى: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].



سُورَةُ الْمَائِدَةِ

١١٤ فإن كل شيء كان جائزاً ثم حرم لموجب ثم أمر به بعد زوال ذلك الموجب فإن ذلك الأمر كله في القرآن للجواز كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

١١٥ الإنسان عليه أن يعامل من عصى الله فيه، بأن يطيع الله فيه ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢].

١١٦ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣].
المخمصة: الجوع.

١١٧ السُّنَّةُ تخصص عموم القرآن.. مثاله: قوله ﷺ: «أُحِلَّت لَنَا مِيتَتَانِ وَدِمَانٌ، أَمَا الْمِيتَتَانِ: فَالْجَرَادُ وَالْحَوْتَ، وَأَمَا الدِّمَانُ: فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ» فخص بهذا الحديث عموم قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [المائدة: ٣].

١١٨ قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

إنما أدخل مسح الرأس بين المغسولات محافظة على الترتيب؛

لأن الرأس يمسح بين المغسولات، ومن هنا أخذ جماعة من العلماء وجوب الترتيب في أعضاء الوضوء حسبما جاء في الآية الكريمة.

١١٩ حذف الإرادة، واقع في القرآن: كقوله **﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾** [المائدة: ٦]؛ أي: أردتم القيام إليها، وقوله **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾** [الحل: ٩٨]؛ أي: أردت قراءته فاستعذ بالله.

١٢٠ قوله تعالى: **﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾** [المائدة: ٨].

فانظر ما في هذه الآية من مكارم الأخلاق والأمر بأن تعامل من عصى لله فيك بأن تطيعه فيه.

١٢١ اليهود أهل خيانة إلا القليل منهم قال تعالى: **﴿وَلَا تَرَأُ تُطِيعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾** [المائدة: ١٣].

١٢٢ قوله تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾** [المائدة: ٣٢].

قال ابن عباس: من حرّم قتلها إلا بحق حيي الناس منه جميعاً.

١٢٣ قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾** [المائدة: ٣٥].

الوسيلة: التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة على وفق ما جاء به النبي ﷺ.

١٢٤ تقرر في الأصول في مبحث النصر الظاهر من مسالك العلة: أن الفاء في الكتاب، والسُّنة تفيد التعليل **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾** [المائدة: ٣٨]؛ أي: لعلة سرقتهما.

١٢٥ قوله تعالى: ﴿وَسَارِقٌ سَارِقَةٌ فَفُتِحُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

الحكمة من قطع يد السارق: قال المازري: صان الله الأموال بإيجاب قطع سارقها، وخص السرقة لقلة ما عداها بالنسبة إليها، من الانتهاب والغصب، ولسهولة إقامة البينة على ما عدا السرقة بخلافها، وشدد العقوبة فيها ليكون أبلغ في الزجر، ولم يجعل دية الجناية على العضو المقطوع منها بقدر ما يقطع فيه حماية لليد، ثم لما خانت هانت، وفي ذلك إثارة إلى الشبهة التي نسبت إلى أبي العلاء المعري في قوله:

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

فأجابه القاضي عبد الوهاب المالكي بقوله:

صيانة العضو أغلاها وأرخصها حماية المال فافهم حكمة الباري

وشرح ذلك: أن الدية لو كانت ربع دينار لكثرت الجنايات على الأيدي، ولو كان نصاب القطع خمسمائة دينار لكثرت الجنايات على الأموال، فظهرت الحكمة في الجانبين، وكان في ذلك صيانة من الطرفين.

١٢٦ السُّنَّةُ مقيدة لمطلق القرآن... مثاله: قطعه ﷺ يد السارق من الكوع تقييداً لمطلق قوله تعالى: ﴿فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

١٢٧ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

فكل من هزئ بشيء من الدين أو اتخذه لعباً ولهواً فإنه يخشى عليه من تناول هذه الآية إياه.

١٢٨ قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

دلالة هذه الآية الكريمة على أن الترك فعل في غاية الوضوح.

١٢٩ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

أشار في هذه الآية، إلى أن الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، لو تابوا إليه من ذلك، لتاب عليهم، وغفر لهم؛ لأنه استعطفهم إلى ذلك أحسن استعطاف، وألطفه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾، ثم أشار إلى أنهم إن فعلوا ذلك غفر لهم بقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١٣٠ قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكَتَبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧].

الغلو الذي نهوا عنه... قول بعضهم: إن عيسى ابن الله...
وقول بعضهم: هو الله... وقول بعضهم: هو إله مع الله...
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

١٣١ قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩].

فقد سمي ﴿لَبِئْسَ﴾ في هذه الآية الكريمة تركهم التناهي عن المنكر فعلاً.

١٣٢ قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

مَسَائِلُ تَتَعَلَّقُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ :

* الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : اَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَنِ الْأَمْرِ وَالْمَأْمُورِ يَجِبُ عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الْحَقِّ الْمَأْمُورِ بِهِ ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ ، أَنَّهُ حِمَارٌ مِنْ حُمَرِ جَهَنَّمَ يَجْرُ أَمْعَاءُهُ فِيهَا .

* الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ : يُشْتَرَطُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ ، يَعْلَمُ بِهِ أَنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ مَعْرُوفٌ ، وَأَنَّ مَا يَنْهَى عَنْهُ مُنْكَرٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ جَاهِلًا بِذَلِكَ فَقَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ ، وَيَنْهَى عَمَّا لَيْسَ بِمُنْكَرٍ ، وَلَا سِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي عَمَّ فِيهِ الْجَهْلُ وَصَارَ فِيهِ الْحَقُّ مُنْكَرًا ، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا .

* الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ : يُشْتَرَطُ فِي جَوَازِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ أَلَّا يُؤَدِّيَ إِلَى مَفْسَدَةٍ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْكَرِ ؛ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ارْتِكَابِ أَخْفِ الضَّرَرَيْنِ .

[٢٣٣] لَا تَقْبَلُ شَهَادَةُ كَافِرٍ فِي شَيْءٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ خَاصٍّ كَالْوَصِيَّةِ فِي السَّفَرِ ، إِذَا لَمْ يَوْجَدْ مُسْلِمٌ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأَوْءَاخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٦] .



سُورَةُ الْأَنْعَامِ

١٣٤ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

أجمع من يعتد به من أهل العلم أن المراد بالموتى في قوله: ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: الكفار.

١٣٥ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].
المراد بالظلم هنا: الشرك كما ثبت عن النبي ﷺ في «صحيح البخاري» وقد بينه قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

١٣٦ قوله تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩].
انظروا إلى الثمر وقت طلوعه ضعيفاً لا يصلح للأكل، وانظروا إلى ينعه؛ أي: انظروا إليه بعد أن صار يانعاً مدركاً صالحاً للأكل، تعلموا أن الذي رباه ونماه حتى صار كما ترونه وقت ينعه، قادر على كل شيء، منعم عليكم عظيم الإنعام.

١٣٧ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].
أي: لست يا محمد ﷺ بموكل عليهم تهدي من شئت هدايته منهم؛ بل إنما أنت نذير فحسب، وقد بلغت ونصحت، والوكيل عليهم هو الله ﷻ.

١٣٨ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

وما جرى مجراه من الآيات ليس منسوخا بآية السيف والعلم عند الله - تعالى - .

١٣٩ قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].
﴿صِدْقًا﴾: في الأخبار ﴿وَعَدْلًا﴾: في الأحكام.

١٤٠ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِرَ إِلَى أُولِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُوَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وحذف الفاء من قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ يدل على قسم محذوف. فهو قسم من الله ﷻ أقسم به على أن من اتبع الشيطان في تحليل الميتة أنه مشرك، وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين.

١٤١ قوله تعالى: ﴿أَوْمَن كَانَ مِيثًا فَأَخْيَيْنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿أَوْمَن كَانَ مِيثًا﴾؛ أي: كافرًا. ﴿فَأَخْيَيْنَهُ﴾؛ أي: بالإيمان والهدى، وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق الموت وإرادة الكفر بلا خلاف.

١٤٢ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَنْمَعَشَرُ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

أي: قد استكثرتم أيها الشياطين، من إضلال الإنس.

١٤٣ قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

والمبارك كثير البركات، من خير الدنيا والآخرة.

١٤٤ أقل ما تضاعف به الحسنة عشر أمثالها ﴿مَنْ حَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

١٤٥ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَنَسُوا أَزْلَاجَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

فسماهم شركاء؛ لأنهم أطاعوهم في معصية الله تعالى.

١٤٦ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢].

أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقول إن صلاته ونحره كلاهما خالص لله ﷻ، ويدل لهذا قوله ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنَحِرْ﴾ [الكوثر: ٢].



سُورَةُ الْأَعْرَافِ

١٤٧ قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

والمراد بـ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ هو: القرآن والسُّنة المبينة له لا آراء الرجال.

١٤٨ قوله تعالى: ﴿فَلَقُصِّ عَنْهُمْ عِلْمُ﴾ [الأعراف: ٧].

أثبت رحمته لنفسه صفة العلم، ونظيره قوله رحمته: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] وهي أدلة قرآنية صريحة في بطلان مذهب الجهمية.

١٤٩ كل من ردّ نصوص الوحي بالأقيسة فسلفه في ذلك إبليس ﴿إِنَّا حِدَّةٌ مِنْهُ فَكُنْ مِنْ تَارِ وَحَفَّتْهُ مِنْ طَبْعٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

شرف الأصل لا يقتضي شرف الفرع؛ بل قد يكون الأصل رفيعاً والفرع وضيعاً، كما قال الشاعر:

إذا افتخرت بأبائهم شرف قلنا صدقت ولكن بشئ ما ولدوا

١٥٠ قوله تعالى: ﴿فَالْفَاطِطُ مِنْهَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

عامل إبليس بنقيض قصده حيث كان قصده التعظيم والتكبر فأخرجه الله رحمته صاغراً ذليلاً.

١٥١ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَذْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٤٨].
المذؤوم: المعيب أو الممقوت، والمدحور: المبعد عن
الرحمة، المطرود.

١٥٢ سبب نزول قوله ﷺ: ﴿يَبْنِي ۖ آدَمَ حُدُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ
مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]:

أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة، وفيه وجوب ستر العورة للطواف.

١٥٣ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾
[الأعراف: ٥٧].

فقوله: ﴿ثِقَالًا﴾ جمع ثقيلة، وثقلها إنما هو بالماء الذي فيها.

١٥٤ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].
المراد بالفتح: الحُكْم؛ أي: احكم بيننا وبين قومنا بالحق.

١٥٥ قوله تعالى: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

أي: يختلقونه ويفترونه من الكذب، فأصل الأفك بالفتح
القلب والصرف عن الشيء، ومنه قيل لقري قوم لوط:
﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ﴾ [الحاقة: ٩]؛ لأن الله أفكها؛ أي: قلبها.

وأكثر استعمال هذه المادة «الأفك» في الكذب؛ لأنه صرف
وقلب للأمر عن حقيقته بالكذب، والافتراء، كما قال ﷺ: ﴿وَيْلٌ
لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيرٍ﴾ [الجاثية: ٧].

١٥٦ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

يعني: الجدوب. وهذا معروف في اللغة؛ يقال: أصابتهم
سنة؛ أي: جَدَب.

١٥٧ الكبر - أعاذنا الله والمسلمين منه - سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله ﷻ ﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِنِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

١٥٨ أشكل على ابن عباس أمر الفرقة الساكتة التي لم ترتكب ما نهيت عنه من اليهود، هل عذبوا أو نجوا حتى بيّن له مولاه عكرمة دخولهم في الناجين دون المعذبين، وهذا هو الحق؛ لأنه سبحانه قال عن الساكتين: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] فأخبر أنهم أنكروا فعلهم وغضبوا عليهم، وإن لم يواجهوهم بالنهي، فقد واجههم به من أدى الواجب عنهم، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، فلما قام به أولئك سقط عن الباقي فلم يكونوا ظالمين بسكوتهم.

وأيضاً فإنه سبحانه إنما عذب الذين نسوا ما ذكروا به، وعتوا عما نهوا عنه، وهذا لا يتناول الساكتين قطعاً، فلما بيّن عكرمة لابن عباس أنهم لم يدخلوا في الظالمين المعذبين كسأه برده وفرح به.

١٥٩ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال القرطبي: سمى الله سبحانه أسماءه بالحسنى؛ لأنها حسنة في الأسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده وإفضاله.

ونقل القرطبي عن ابن العربي عند قوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾؛ أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به تقول: يا رحمان ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهديني، يا تواب تب علي.

﴿١٦٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ﴾

[الأعراف: ١٨٨].

والمراد بالخير قيل: المال، ويدل على ذلك كثرة ورود الخير بمعنى المال في القرآن.

﴿١٦١﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا

زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وتأنيث الوصف، بقوله: ﴿وَاحِدَةٍ﴾، مع أن الموصوف به مذكر، وهو آدم نظراً إلى تأنيث لفظ النفس.



سُورَةُ الْأَنْفَالِ

١٦٢ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢].

الوجل عند ذكر الله ﷻ يكون بسبب خوف الزيف عن الهدى، وعدم تقبل الأعمال، كما قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

١٦٣ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

فنبينا ﷺ كان هو وأصحابه إذا أصابهم أمر أو كرب التجئوا إلى الله وأخلصوا له الدعاء، فعلينا أن نتبع ولا نبتدع.

١٦٤ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُفَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١].

ألقي النعاس على المؤمنين ليجعل قلوبهم آمنة غير خائفة من عدوها؛ لأن الخائف لا يغشاه النعاس.

١٦٥ قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨].

أي: مضعف كيدهم، وقول زهير بن أبي سلمى:
وأخلفتك ابنة البكري ما وعدت فأصبح الحبل منها واهناً خلقاً

١٦٦ قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

الفتح: الحكم، سألوا الله أن يحكم بينهم وبين النبي ﷺ بأن يهلك الظالم وينصر المحق فأهلكهم الله ونصره.

١٦٧ قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال محمد بن إسحاق: فرقاناً؛ أي: فصلاً بين الحق والباطل.

١٦٨ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

المكاء: الصغير، والتصدية: التصفيق.

١٦٩ الإنفاق فيما لا يرضي الله حسرة على صاحبه، قال الحق تعالى: ﴿فَسَيَفْقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦].

١٧٠ وقعة بدر بينة لا لبس في الحق معها ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقعة بدر فرقان فارق بين الحق والباطل ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

١٧١ قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ينبغي الإكثار من ذكر الله على كل حال لا سيما وقت الضيق، والمحِب الصادق في حبه لا ينسى محبوه عند نزول الشدائد.

١٧٢ اختلاف القلوب أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية لاستلزامه الفشل وذهاب القوة والدولة، كما قال جلّ: ﴿وَلَا تَزْعُمُوا فَلَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

١٧٣ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

سرنا وساروا إلى بدر لحينهم لو يعلمون يقين الأمر ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم إن الخبيث لمن ولّاه غرار

١٧٤ القرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين، والتحلي بأدابه الكريمة. قال عليه السلام: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] أمر جازم بإعداد كل ما في الاستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت، من مسايرة التطور في الأمور الدنيوية.

١٧٥ قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن إلحادهم في أسمائه: أنهم اشتقوا العزى من اسم العزيز، واللات من اسم الله.



سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٧٦ أهل الكتاب داخلون في اسم المشركين، كما صرح به تعالى في قوله: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرُءُسَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

١٧٧ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

المراد بكنزهم الذهب والفضة وعدم إنفاقها في سبيل الله: أنهم لا يؤدون زكاتها.

١٧٨ ما ينتظر النبي ﷺ وأصحابه والمسلمون كله خير، بعكس ما ينتظره الكفار، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

١٧٩ النسيان المثبت في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] بمعنى: الترك، والنسيان المنفي عنه تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] هو الذي بمعنى: السهو؛ لأنه محال على الله تعالى.

١٨٠ قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٩].

إشارة إلى اتباع الشهوات وهو داء العصاة؛ ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩] إشارة إلى الشبهات وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات.

١٨١ قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

دليل صريح في أن من يسب الصحابة ويغضهم أنه ضال مضل مخالف لله جلالة.

١٨٢ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤].

نص صريح في أن الإيمان يزيد، مفهوم منها أنه ينقص أيضاً، كما استدل بها البخاري رحمه الله على ذلك.

١٨٣ النبي ﷺ أرفأ بأمته من الوالد الشفيق بأولاده، وقد قال ﷺ في رأفته ورحمته بهم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].



سُورَةُ يُوسُفَ

١٨٤ قوله تعالى: ﴿وَنَجِّئُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠].

معنى السلام: الدعاء بالسلامة من الآفات، والتحية: مصدر
حياك الله بمعنى: أطال حياتك.

١٨٥ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

لو عجل لهم الإجابة بالشر كما يعجل لهم الإجابة بالخير
لقضي إليهم أجلهم؛ أي: لهلكوا.

١٨٦ لا يصح نسخ حكم شرعي إلا بوحى من كتاب أو سنة؛
لأن الله جلّ وعزّ يقول: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ
أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥].

١٨٧ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم. اللَّهُمَّ
إنا نسألك الجنة والنظر إلى وجهك الكريم.. آمين.

١٨٨ قوله تعالى: ﴿أَتُومِنُ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُكُمْ بِهِ ءَ الْفَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١].

الإيمان عند معاينة العذاب لا يُقبل.

سُورَةُ هُودٍ

١٨٩ قوله تعالى: ﴿الرَّ كُنْتُ أَحْكَمْتُ ءَابَتُمْ ثُمَّ فَضَلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ١، ٢].

هذه الآية فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها هي أن يُعبد الله عَلَّاهُ وحده ولا يشرك به.

١٩٠ قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣].

المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا؛ فالاستغفار والتوبة إلى الله من الذنوب سبب؛ لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً.

١٩١ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ٣٧].

لأن الظالمين ليسوا من الأهل بالنسبة للدين؛ لأن الدين يربط البعيدين، والظلم الذي هو بمعنى الكفر يفرق القريبين.

١٩٢ قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ۝ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٦٩، ٧٠].

يؤخذ من قصة إبراهيم مع ضيفه هؤلاء أشياء من آداب

الضيافة:

- منها: تعجيل القرى؛ لقوله: ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ حَاءَ بِعِجْلِ حَنِيدٍ﴾.
- ومنها: كون القرى من أحسن ما عنده؛ لأنهم ذكروا أن الذي عنده البقر وأطيبه لحماً الفتي السمين المنصح.
- ومنها: تقريب الطعام إلى الضيف.
- ومنها: ملاطفته بالكلام بغاية الرفق؛ كقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧].

- ١٩٣** قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].
- كيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه وهو صغير وعنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب، فدل أن الذبيح إسماعيل.
- ١٩٤** قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَرِيذٍ﴾ [هود: ٩١].
- دليل على أن المتمسك بدينه قد يعينه الله، ويعزه بنصرة قريبه الكافر.

- ١٩٥** الغنى بالفتح والقصر: الإقامة من قولهم: غني بالمكان بكسر النون يغنى بفتحها غنى بفتحتين إذا أقام به، قال جَلَّالَهُ: ﴿كَأَنْ لَّرَ يَغْنَوُا فِيهَا﴾ [هود: ٩٥]: كأنهم لم يقيموا فيها.

- ١٩٦** قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠].

القائم: هو الذي لم يتهدم؛ الحصيد: هو الذي تهدم وتفرقت أنقاضه.

[١٩٧] قوله تعالى: ﴿خَلْدِيك فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧].

قيّد تعالى خلود أهل الجنة وأهل النار بالمشيئة، فقال في كلّ منهما: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، ثم بيّن عدم الانقطاع في كلّ منهما، فقال في خلود أهل الجنة: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال في خلود أهل النار: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ومعلوم أن كلما تقتضي التكرار بتكرار الفعل الذي بعدها.



سُورَةُ يُوسُفَ

١٩٨ قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ [يوسف: ١].

السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائماً عقب هذه الحروف الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وهذه شهادة استقراء القرآن لهذا القول، والحروف المقطعة ذكرت بياناً لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

١٩٩ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

ليس مرادهم الضلال في الدين وإنما مرادهم أن أباهم في زعمهم في ذهاب عن إدراك الحقيقة، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به.

٢٠٠ وقرأ نافع: ﴿غَيَابَاتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠].

بصيغة الجمع، والجمع في قراءة نافع نظراً إلى تعدد أجزاء قعر الجب التي تغيب الداخل فيها عن العيان.

﴿غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠] بالإفراد وكل شيء غيب عنك شيئاً فهو غيابة.

٢٠١ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤].

أي: لولا أن رآه همّ بها، فما قبل لولا هو دليل الجواب المحذوف، كما هو الغالب في القرآن واللغة.

ونظير ذلك قوله ﷺ: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَى قُلُوبِنَا﴾ [القصر: ١٠] فما قبل لولا دليل الجواب؛ أي: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدي به.

٢٠٢ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤].

اختيار أبي حيان: أن يوسف لم يقع منه همّ أصلاً؛ بل هو منفي عنه لوجود البرهان.

٢٠٣ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤].

ظاهر هذه الآية الكريمة قد يفهم منه أن يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام همّ بأن يفعل مع تلك المرأة مثل ما همت هي به منه، ولكن القرآن العظيم بيّن براءته عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيما لا ينبغي حيث بيّن شهادة كل من له تعلق بالمسألة ببراءته، وشهادة الله له بذلك واعتراف إبليس به.

أما الذين لهم تعلق بتلك الواقعة فهم: يوسف، والمرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود.

أما جزم يوسف بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٢٣]

وأما اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَوَدَّتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف: ٢٢]، وقولها: ﴿أَلَنْ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدَّتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١].

وأما اعتراف زوج المرأة ففي قوله: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿[يوسف: ٢٨، ٢٩].

وأما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [يوسف: ٢٦].

وأما شهادة الله ﷻ ببراءته ففي قوله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وأما إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿[ص: ٨٢، ٨٣].

فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ولا شك أن يوسف من المخلصين، كما صرح تعالى به في قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، فظهرت دلالة القرآن من جهات متعددة على براءته مما لا ينبغي.

٢٠٤ قوله تعالى في النساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

وقوله تعالى في الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. يدل على أن كيدهم أعظم من كيده.

٢٠٥ دلّت آية من كتاب الله على إطلاق شر مكاناً، والمراد: اتصاف الشخص بالشر، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧]، إلا أن يراد بذلك المكان المعنوي؛ أي: أنتم شر منزلة عند الله ﷻ.

٢٠٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قال أبو حيان في «البحر المحيط»: وروح الله: رحمته وفرجه وتنقيسه.

٢٠٧ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

دليل على صحة نبوة نبينا ﷺ؛ لأنه أنزل عليه هذا القرآن، وفصل له هذه القصة، مع أنه ﷺ لم يكن حاضراً لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به، وجعله في غيابة الجب، فلولا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه.

٢٠٨ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعامر الشعبي، وأكثر المفسرين: إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته.



سُورَةُ الرَّعْدِ

﴿٢٠٩﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

قال ابن كثير: ترونها تأكيداً لنفي ذلك؛ أي: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها كذلك، وهذا هو الأكمل في القدرة.

﴿٢١٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُوكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُتُ﴾ [الرعد: ٦].

بالسيئة: العقوبة وإنزال العذاب قبل الحسنة؛ أي: قبل العافية والإيمان، والمثلاث: العقوبات.

﴿٢١١﴾ قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

المستخفي: هو المختفي المستتر عن الأعين، والسارب: هو الظاهر البارز.

﴿٢١٢﴾ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾

[الرعد: ١٢].

قال قتادة: خوفاً للمسافر يخاف أذاه ومشقته، وطمعاً للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع في رزق الله.

٢١٣ من إطلاق «قدر» بمعنى «ضيق» في القرآن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]؛ أي: ويضيق الرزق على من يشاء.

٢١٤ قوله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].
الطمأنينة تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد وصدق ما جاء به محمد ﷺ فطمأنيتهم بذلك قوية؛ لأنها لم تتطرقها الشكوك ولا الشبه.

٢١٥ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١].

ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام.

٢١٦ قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ عطف على لفظ الجلالة وأن المراد به: أهل العلم بالتوراة والإنجيل.



سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

٢١٧ قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ [إبراهيم: ١].

الحروف المقطعة ذكرت بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها.

٢١٨ كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها: أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالالوهية ضرورة؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] وقوله: ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤].

٢١٩ قوله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦].

وراء بمعنى: أمام ويدل له إطلاق وراء بمعنى أمام في القرآن؛ فمنه قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]؛ أي: أمامهم ملك.

٢٢٠ أعمال الكفار كصلوات الأرحام ونحوها يبطلها الكفر؛ كما تطير تلك الريح ذلك الرماد ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

[٢٢١] أشار تعالى إلى فتنة القبر وعذابه في قوله: ﴿بَشِّرْ أَهْلَ
الدِّيرِ بِأَمْرٍ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ وَالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيُصِلُ أُمَّةَ
الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

[٢٢٢] قوله تعالى: ﴿وَرَزَّيْنَا بِأَسْكَنِ مِنْ دُرِّيٍّ إِبْرَاهِيمَ عِندَ بَيْتِ الْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

يدل على أنه كان مبنياً واندرس، ويدل عليه قوله: ﴿مَكَانَ
الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] أن له مكاناً سابقاً معروفاً.



سورة الحجر

٢٢٣ قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

[الحجر: ٢].

فإن قيل: رُبَّمَا لا تدخل إلا على الماضي، فما وجه دخولها على المضارع في هذا الموضع؟ فالجواب: أن الله تعالى لما وعد بوقوع ذلك صار ذلك الوعد للجزم بتحقيق وقوعه؛ كالواقع بالفعل.

٢٢٤ تقرر في فن المعاني وفي مبحث الأمر عند الأصوليين أن من المعاني التي تأتي لها صيغة افعل التهديد ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْمَعُوا وَيُبْهِمُوا الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

٢٢٥ القرآن العظيم لم يكل الله حفظه إلى أحد حتى يمكن تضييعه؛ بل تولى حفظه بنفسه الكريمة المقدسة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

٢٢٦ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢].

قال ابن كثير: أي: تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر فتفتح عن أوراقها وأكمامها.

٢٢٧ جواز الاستثناء من الاستثناء في هذه الآية الكريمة دليل

واضح لما حققه علماء الأصول من جواز الاستثناء من الاستثناء؛
لأنه تعالى استثنى آل لوط من إهلاك المجرمين بقوله:

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٥٩]، ثم استثنى
من هذا الاستثناء امرأة لوط بقوله: ﴿إِلَّا أَمْرَأَتُهُ فَمَدَّ نَارًا إِنَّهَا لَمِنَ
الْغَايِبِينَ﴾ [الحجر: ٦٠].

٢٢٨ قوله تعالى: ﴿لَعَنُوكَ﴾ [الحجر: ٧٢].

أقسم بحياتك، والله جلَّ له أن يقسم بما شاء من خلقه، ولم
يقسم في القرآن بحياة أحد إلا نبينا ﷺ وفي ذلك من التشريف له ﷺ
ما لا يخفى. ولا يجوز لمخلوق أن يحلف بغير الله، لقوله ﷺ:
«من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت».

٢٢٩ قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٤ - ٧٦].

أي: أن ديار قوم لوط بطريق مقيم، يمرون فيه عليها في
سفرهم إلى الشام.

٢٣٠ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

التوسم العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها، قال
الشاعر:

توسمته لما رأيت مهابة عليه وقلت المرء من آل هاشم
هذا أصل التوسم، وللعلماء فيه أقوال متقاربة يرجع معناها
كلها إلى شيء واحد.

﴿٢٣١﴾ قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

أمر الله ﷺ أن يصفح عمن أساء، الصَّفْحَ الْجَمِيلَ: أي: بالحلم والإغضاء، وقال علي وابن عباس: ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾: الرضا بغير عتاب.

﴿٢٣٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾

[الحجر: ٨٧].

قال ﷺ: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» [البخاري]

قيل لها: «مثاني»؛ لأنها تشتمل قراءتها في الصلاة.

وقيل لها: «سبع»؛ لأنها سبع آيات.

وقيل لها: «وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»؛ لأنها هي أعظم سورة.

﴿٢٣٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾

[الحجر: ٨٧].

وإنما عطف القرآن العظيم على السبع المثاني، مع أن المراد بهما واحد وهو الفاتحة؛ لما علم في اللغة العربية: من أن الشيء الواحد إذا ذكر بصفتين مختلفتين جاز عطف إحداهما على الأخرى، تنزيلاً لتغاير الصفات منزلة تغاير الذوات، ومنه قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى: ١ - ٤]، وقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

﴿٢٣٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

الله تعالى نهى نبيه ﷺ عن الحزن على الكفار إذا امتنعوا من قبول الإسلام. ويدل لذلك كثرة ورود هذا المعنى في القرآن العظيم.

٢٢٥ قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨].

الكمال يكون بأمرين:

- ١ - التنزه عما لا يليق، وهذا معنى التسبيح.
- ٢ - التحلي بالفضائل والاتصاف بصفات الكمال، وهذا معنى الحمد.

٢٢٦ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧)

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨].

الصلاة والتسبيح سبب لزوال ضيق الصدر. ولذا كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة.



سُورَةُ النِّحْلِ

٢٣٧ قوله تعالى: ﴿أَنَّى أَمُرُّ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

عبر بالماضي تنزيلاً لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع بالفعل.

٢٣٨ قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ﴾

[النحل: ٥].

والدفع ما يتدفثون به في الثياب المصنوعة من جلود الأنعام وأوبارها وأشعارها وأصوافها.

٢٣٩ قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

يخلق ما لا يعلم المخاطبون وقت نزولها وشوهد ذلك في إنعام الله على عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية؛ كالسيارات.

٢٤٠ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].

أن طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله؛ أي: موصلة إليه، ليست حائدة، ولا جائرة عن الوصول إليه وإلى مرضاته.

٢٤١ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ [النحل: ٩].

أي: ومن الطريق جائر لا يصل إلى الله؛ بل هو زائغ وحائد عن الوصول إليه.

٢٤٢ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

أي: ترعون مواشيكم، والعرب تقول: سامت المواشي؛ إذا رعت في المرعى الذي ينبتة الله بالمطر.

٢٤٣ قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَرٍ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

وذلك واضح جداً في أن من يخلق غيره هو المعبود، وأن من لا يخلق شيئاً لا يصح أن يعبد.

٢٤٤ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ذكر ﷺ في هذه الآية الكريمة: أنه بعث في كل أمة رسولا بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة ما سواه. وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»؛ لأنها مركبة من نفي وإثبات، فنفيها هو خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، وإثباتها هو إفراده ﷺ بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم صلوات الله وسلامه.

٢٤٥ قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى﴾ [النحل: ٣٨].

بلى: تدل على نفي قولهم: لا يبعث الله من يموت ونفي هذا النفي إثبات، معناه: لتبعثن.

٢٤٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وعبّر تعالى عن المراد قبل وقوعه باسم الشيء؛ لأن تحقق وقوعه كالوقوع بالفعل؛ لأنه لما سبق في علم الله أنه يوجد ذلك الشيء وأنه يقول له كن فيكون كان تحقق وقوعه بمنزلة وقوعه.

﴿٢٤٧﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾

[النحل: ٤٣].

يفهم من هذه الآية: أن الله لم يرسل امرأة قط.

﴿٢٤٨﴾ يفهم من قوله ﴿لَا﴾: ﴿فَنَسُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]:

أن من جهل الحكم: يجب عليه سؤال العلماء والعمل بما أفته به.

﴿٢٤٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ [النحل: ٥٢].

الدين هنا: الطاعة، ومنه قول الشاعر:

وأيام لنا غر كرام عصينا الملك فيها أن ندينا
أي: عصيناه وامتنعنا أن ندين له؛ أي: نطيعه. واصباً: دائماً؛
أي: له الطاعة والذل والخضوع دائماً؛ لأنه لا يضعف سلطانه، ولا
يعزل عن سلطانه، ولا يموت ولا يغلب، ولا يتغير له حال.

﴿٢٥٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَى إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾

﴿فَالْيَهُ تَجَشَّرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

﴿تَجَشَّرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة عند نزول

الشدائد.

﴿٢٥١﴾ قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوْا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥].

صيغة الأمر في قوله ﷻ: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ للتهديد.

٢٥٢ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

كظيم؛ أي: ممتلئ حزناً وهو ساكت، وقيل: ممتلئ غيظاً على امرأته التي ولدت له الأنثى؛ لأن شدة الحزن والكآبة تسود لون الوجه.

والبشارة: تطلق في العربية على الخبر بما يسر، وبما يسوء. ومن إطلاقها على الخبر بما يسوء قوله ﷻ هنا: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ﴾.

٢٥٣ قوله تعالى: ﴿لَا جُرمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفرطون﴾ [النحل: ٦٢].

أي: متروكون منسيون في النار. ويشهد لهذا قوله ﷻ: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١].

٢٥٤ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِهَا فِي بَطُولِهِمْ مِنْ

بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ [النحل: ٦٦].

بين في هذه الآية الكريمة: أن في الأنعام عبرة دالة على تفرد من خلقها، وأخلص لبنها من بين فرث ودم؛ بأنه هو وحده المستحق؛ لأن يعبد، ويطاع ولا يعصى.

٢٥٥ الأنعام يصح تذكيرها وتأنيثها؛ لأنه ذكرها هنا في قوله:

﴿لِّتُنْقِضُوا بِهَا فِي بَطُولِهِمْ﴾ [النحل: ٦٦]، وأنثها في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] في قوله: ﴿لِّتُنْقِضُوا بِهَا فِي بَطُولِهَا وَلَكُمُ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ [المؤمنون: ٢١]، ومعلوم في العربية: أن أسماء الأجناس يجوز

فيها التذكير نظراً إلى اللفظ، والتأنيث نظراً إلى معنى الجماعة الداخلة تحت اسم الجنس. وقد جاء في القرآن تذكير الأنعام وتأنيثها كما ذكرناه آنفاً. وجاء فيه تذكير النخل وتأنيثها؛ فالتذكير في قوله: ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢١]، والتأنيث في قوله: ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، ونحو ذلك. وجاء في القرآن تذكير السماء وتأنيثها؛ فالتذكير في قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]، والتأنيث في قوله: ﴿وَالسَّمَاءُ بَنِينَهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ونحو ذلك من الآيات. وهذا معروف في العربية.

٢٥٦ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨].

الإيحاء: الإلهام. والعرب تطلق الإيحاء على الإعلام بالشيء في خفية، ولذا تطلقه على الإشارة، وعلى الكتابة، وعلى الإلهام.

٢٥٧ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَتَحَدُّونَ﴾ [النحل: ٧١].

أظهر التفسيرات في هذه الآية الكريمة: أن الله ضرب فيها مثلاً للكفار، بأنه فضَّل بعض الناس على بعض في الرزق، ومن ذلك تفضيله المالكين على المملوكين في الرزق، وأن المالكين لا يرضون لأنفسهم أن يكون المملوكون شركاءهم فيما رزقهم الله من الأموال والنساء وجميع نعم الله. ومع هذا يجعلون الأصنام شركاء لله في حقه على خلقه، الذي هو إخلاص العبادة له وحده؛ أي: إذا كنتم لا ترضون بإشراك عبيدكم معكم في أموالكم ونسائكم: فكيف تشركون عبيدي معي في سلطاني؟!

[٢٥٨] قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١].

هذه الآية الكريمة نص صريح في إبطال مذهب الاشتراكية القائل: لا يكون أحد أفضل من أحد في الرزق.

[٢٥٩] قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [الحل: ٧٤].

نهى الله جلالة في هذه الآية خلقه أن يضربوا له الأمثال؛ أي: يجعلوا له أشباهاً ونظراء من خلقه عليه السلام عن ذلك علواً كبيراً.

[٢٦٠] كما أن الإيمان يزيد بالطاعة، والمؤمن يثاب على إيمانه وعلى طاعته، فكذلك الكفر يزداد بالمعاصي. ويجازى الكافر على كفره وعلى عصيانه، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ رَدَّتْهُمْ عَدَاةً فَوْقَ الْعَدَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [الحل: ٨٨]. فعذاب على الكفر وعذاب على الإفساد.

[٢٦١] قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

فقيّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قبل منه ذلك العمل الصالح.

[٢٦٢] قوله تعالى: ﴿وَبَدَا نَدْلَأُ آيَةً فَكَفَّ آيَةً وَأَنَّهُ أَغْمُ بِمَا يُنَزَّلُ﴾ [النحل: ١٠١].

لا خلاف بين المسلمين في جواز النسخ عقلاً وشرعاً، ولا في وقوعه فعلاً.

والدليل على أن قوله: ﴿بَدَا نَدْلَأُ آيَةً مَّكَكَ آيَةً﴾ معناه:

نسخنا آية وأنسيناها قوله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

٢٦٣ قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢].

أطلق اسم اللباس على ما أصابهم من الجوع والخوف؛ لأن آثار الجوع والخوف تظهر على أبدانهم، وتحيط بها كاللباس.

٢٦٤ قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

فيجب على كل عاقل أن يعتبر بهذا المثل، وألا يقابل نعم الله بالكفر والطغيان؛ لئلا يحل به ما حل بهذه القرية المذكورة.

٢٦٥ عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظة لا يفلح يراد بها الكافر؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [الحل: ١١٦].

٢٦٦ قوله تعالى: ﴿إِنْ إِنْزَاهِيَهُمْ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

﴿أُمَّةً﴾: أي: إمام مقتدى به، يعلم الناس الخير، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

٢٦٧ قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ فِي الذَّنْبِ حَسَنَةً﴾ [النحل: ١٢٢].

قال بعض العلماء: الحسنه التي آتاه الله في الدنيا: الذرية الطيبة، والثناء الحسن.

٢٦٨ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾
[النحل: ١٢٣].

والملة: الشريعة. والحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى
دين الحق.



سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

﴿٢٦٩﴾ سورة الإسراء تسمى أيضاً: سورة بني إسرائيل.

﴿٢٧٠﴾ قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ﴾ [الإسراء: ١].

والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن له كبير شأن حتى يتعجب منه.

﴿٢٧١﴾ قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

ظاهر القرآن يدل على أن الإسراء بروحه وجسده يقظة لا مناماً؛ لأنه قال: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد.

﴿٢٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

والتعبير بلفظ العبد في هذا المقام العظيم يدل دلالة واضحة على أن مقام العبودية هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلّها.

﴿٢٧٣﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

أكثرنا حوله الخير والبركة بالأشجار والثمار والأنهار.

﴿٢٧٤﴾ قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا

شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

كان نوح عليه السلام يحمد الله على طعامه وشرابه، ولباسه وشأنه كله. فسماه الله عبداً شكوراً.

[٢٧٥] اللام تأتي بمعنى: «على»؛ كقوله: ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ فَنَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعلیها، وقوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُونَ الْأَنْدَادَ﴾ [الإسراء: ٩]؛ أي: على الأذقان.

[٢٧٦] قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠]. وهذه الآية الكريمة أجمل الله ﷻ فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة.

[٢٧٧] قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسُ عَجُولاً﴾ [الإسراء: ١١].

أي: ومن عجلته دعاؤه على نفسه أو ولده بالشر.

[٢٧٨] قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

جعل الليل مظلماً مناسباً للهدوء والراحة، والنهار مضيئاً مناسباً للحركة والاشتغال بالمعاش في الدنيا.

[٢٧٩] قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابَهُ يَنْقُلُهُ مَنْشُورَةً﴾ [الإسراء: ١٣].

ذلك العمل الذي أرم الإنسان إياه يخرج له يوم القيامة في كتاب يلقاه منشوراً؛ أي: مفتوحاً يقرؤه هو وغيره.

٢٨٠ قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

[الإسراء: ١٤].

يعني: أن نفسه تعلم أنه لم يظلم، ولم يكتب عليه إلا ما عمل؛ لأنه في ذلك الوقت يتذكر كل ما عمل في الدنيا من أول عمره إلى آخره، كما قال تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

٢٨١ لا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل، وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، ولم يقل حتى نلقي في القلوب إلهاماً، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ [طه: ١٣٤] والآيات والأحاديث بمثل هذا كثيرة جداً، وقد بيّنا طرفاً من ذلك في سورة «بني إسرائيل» في الكلام على قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى، زندقه، وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام، بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره.

٢٨٢ قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].

في الآية تهديداً لكفار مكة، وتخويفاً لهم من أن ينزل بهم ما نزل بغيرهم من الأمم التي كذبت رسلها. و﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ يدل على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح أنها على الإسلام.

٢٨٣ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

المعنى: أمرنا مترفيها بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءوا به: ﴿فَفَسَقُوا﴾؛ أي: خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه وكذبوا رسله ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾؛ أي: وجب عليها الوعيد ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾؛ أي: أهلكتناها إهلاكاً مستأصلاً، وأكد فعل التدمير بمصدره للمبالغة في شدة الهلاك الواقع بهم.

٢٨٤ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وفي الآية الدليل على أن الأعمال الصالحة لا تنفع إلا مع الإيمان بالله؛ لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة؛ لأنه شرط في ذلك قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

٢٨٥ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

أي: عمل لها عملها الذي تنال به، وهو امتثال أمر الله، واجتناب نهيه بإخلاص على الوجه المشروع: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: موحد لله ﷻ، غير مشرك به ولا كافر به، فإن الله يشكر سعيه، بأن يثيبه الثواب الجزيل عن عمله القليل.

٢٨٦ من الآيات الدالة دلالة واضحة على أنه ﷺ يوجه إليه الخطاب، والمراد بذلك التشريع لأمته لا نفس خطابه هو ﷺ قوله ﷻ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ لأن معنى قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ الآية؛ أي: إن يبلغ عندك والداك أو أحدهما الكبر فلا تقل لهما أف، ومعلوم أن والديه قد ماتا قبل ذلك بزمان طويل، فلا وجه لاشتراط بلوغهما أو أحدهما الكبر بعد أن ماتا منذ زمن طويل، إلا أن المراد التشريع لغيره ﷺ، ومن أساليب اللغة العربية خطابهم إنساناً والمراد بالخطاب غيره، ومن الأمثلة السائرة في ذلك قول الراجز، وهو سهل بن مالك الفزاري:

«ياك أعني واسمعي يا جاره...».

٢٨٧ قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وذكره ﷻ في هذه الآية بر الوالدين مقروناً بتوحيده ﷻ في عبادته، يدل على شدة تأكيد وجوب بر الوالدين.

٢٨٨ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

فإنه لا يشك عاقل في أن النهي عن التأفف المنطوق به يدل على النهي عن الضرب المسكوت عنه؛ فالضرب المسكوت عنه أولى بالحكم الذي هو التحريم من التأفف المنطوق به مع القطع بنفي الفارق.

٢٨٩ قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤].

كناية عن لين الجانب لهما، والتواضع لهما كما قال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

٢٩٠ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَتْبَعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

وهذا تعليم عظيم من الله لنبيه لمكارم الأخلاق، وأنه إن لم يقدر على الإعطاء الجميل فليتجمل في عدم الإعطاء؛ لأن الرد الجميل خير من الإعطاء القبيح.

٢٩١ المنع في محل الإعطاء مذموم، وقد نهى الله عنه نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

والإعطاء في محل المنع مذموم أيضاً، وقد نهى الله عنه نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

٢٩٢ قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسراء: ٣٠].

أي: يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له، ويقدر: أي: يضيق الرزق على من يشاء تضيقه عليه.

٢٩٣ واقعة غريبة تتعلق بهذه الآية الكريمة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣] وهي أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما استنبط من هذه الآية الكريمة التي نحن بصددتها أيام النزاع بين علي رضي الله عنه وبين معاوية رضي الله عنه - أن السلطنة والملك سيكونان لمعاوية؛ لأنه من أولياء عثمان رضي الله عنه وهو مقتول ظلماً، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾، وكان الأمر كما قال ابن عباس.

٢٩٤ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية الكريمة منع التقليد، قالوا: لأنه اتباع غير العلم.

وقد نهى ﷺ في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم، ويشمل ذلك قوله: رأيت، ولم ير. وسمعت، ولم يسمع، وعلمت، ولم يعلم. ويدخل فيه كل قول بلا علم، وأن يعمل الإنسان بما لا يعلم، وقد أشار ﷺ إلى هذا المعنى في آيات أخر؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوِّ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

٢٩٥ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

المراد بالوسيلة: هو التقرب إلى الله بالعمل الصالح.

٢٩٦ قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأْنَا ثَمُودَ أَنَا ثَاقَةٌ مِّبْصَرَةٍ﴾ [الإسراء: ٥٩].

يَبِّنُ ﷺ أنه أتى ثمود الناقة في حال كونها آية مبصرة؛ أي: بينة تجعلهم يبصرون الحق واضحاً لا لبس فيه.

٢٩٧ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّئَا أَلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

التحقيق في معنى هذه الآية الكريمة: أن الله ﷻ جعل ما أراه نبيه ﷺ من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس؛ لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك، معتقدة أنه لا يمكن أن

يكون حقاً، قالوا: كيف يصلي ببيت المقدس، ويخترق السبع الطباق، ويرى ما رأى في ليلة واحدة، ويصبح في محله بمكة؟ هذا محال، فكان هذا الأمر فتنة لهم لعدم تصديقهم به، واعتقادهم أنه لا يمكن.

٢٩٨ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة، ولا سبباً لتكذيب قريش؛ لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار.

٢٩٩ قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

صيغ الأمر في قوله: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ﴾، وقوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ﴾، إنما هي للتهديد؛ أي: افعل ذلك فسترى عاقبته الوخيمة. ﴿بِصَوْتِكَ﴾ قال مجاهد: هو اللهو والغناء والمزامير.

٣٠٠ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].
عن قتادة ومجاهد: المراد بـ﴿إِمَامِهِمْ﴾ نبيهم، قال بعض السلف: وفي هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث؛ لأن إمامهم النبي ﷺ.

٣٠١ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

المراد بالعمى في هذه الآية الكريمة: عمى القلب لا عمى

العين، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]؛ لأن عمى العين مع إبصار القلب لا يضر، بخلاف العكس؛ فإن أعمى العين يتذكر فتنفعه الذكرى ببصيرة قلبه، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: ١ - ٤].

٣٠٢ قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

أي: لزوالها فيتناول وقت الظهر والعصر ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾؛ أي: ظلامه وذلك يشمل وقت المغرب والعشاء ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح.

٣٠٣ صيغ الأمر في اللغة العربية أربع: وهي فعل الأمر؛ كقوله - تعالى -: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]؛ واسم فعل الأمر؛ كقوله - تعالى -: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؛ والفعل المضارع المجزوم بلام الأمر؛ كقوله ﷻ ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]؛ والمصدر النائب عن فعله؛ كقوله ﷻ ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾ [محمد: ٤]؛ أي: فاضربوا رقابهم.

٣٠٤ قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وعبر عنها بالقرآن بمعنى: القراءة؛ لأنها ركن فيها من التعبير عن الشيء باسم بعضه.

٣٠٥ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ

زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

بَيِّنَ حَلَالَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ ثَابِتًا رَاسِخًا، وَأَنَّ الشَّرْكَ بِاللَّهِ زَهَقَ: أَيِ: ذَهَبَ وَاضْمَحَلَّ وَزَالَ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى كَسْرِ نَصَبِ الْمُشْرِكِينَ وَجَمِيعِ الْأَوْثَانِ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِمْ، وَيَدْخُلُ بِالْمَعْنَى كَسْرَ آلَةِ الْبَاطِلِ كُلِّهِ وَمَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمَعْصِيَةِ اللَّهِ كَالطَّنَابِيرِ وَالْعِيدَانِ وَالْمَزَامِيرِ الَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا إِلَّا اللَّهُ بِهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

وَقَالَ صَاحِبُ «الدَّر الْمُنْثُور» فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ خَارِي وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ مَرْدُويه، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثُمِائَةَ نَصَبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبا: ٤٩].

٣٠٦ قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

يَشْمَلُ كَوْنَهُ شِفَاءً لِلْقَلْبِ مِنْ أَمْرَاضِهِ: كَالشَّكِّ وَالنِّفَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَكَوْنَهُ شِفَاءً لِلْأَجْسَامِ إِذَا رَقِيَ عَلَيْهَا بِهِ.

٣٠٧ قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا حَتَّ ذَرْبَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

فَمَنْ يَدْعِي أَنَّ لِلنَّارِ خَبْوَةَ نَهَائِيَّةٍ وَفَنَاءَ رَدِّ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، اللَّهُمَّ أَجْرْنَا وَوَالِدِينَا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنَ النَّارِ.

٣٠٨ من خَلَقَ الْأَعْظَمَ الْأَكْبَرَ فَهُوَ عَلَى خَلْقِ الْأَصْغَرِ قَادِرٌ بَلَا شَكٍّ

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾ [الإسراء: ٩٩].

٣٠٩ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

هذه الآيات التسع، هي: ١ - العصا. ٢ - واليد. ٣ - والسنون. ٤ - والبحر. ٥ - والطوفان. ٦ - والجراد. ٧ - والقمل. ٨ - والضفادع. ٩ - والدم.

٣١٠ قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَرْسَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

بَيِّن ﴿٣١٠﴾ أنه أنزل هذا القرآن بالحق: أي: متلبساً به متضمناً له: فكل ما فيه حق فأخباره صدق، وأحكامه عدل.

٣١١ قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾

[الإسراء: ١٠٦].

قرأ هذا الحرف عامة القراء ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ بالتخفيف؛ أي: بيناه وأوضحناه، وفصلناه وفرقنا به بين الحق والباطل، وقرأ بعض الصحابة: ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ بالتشديد؛ أي: أنزلناه مفرقاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

٣١٢ قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

أمر الله ﷻ عباده في هذه الآية الكريمة: أن يدعوه بما شاءوا من أسمائه، إن شاءوا قالوا: يا الله، وإن شاءوا قالوا: يا رحمن، إلى غير ذلك من أسمائه ﷻ.

٣١٣ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

يعني: أنه لا يذل فيحتاج إلى ولي يعز به؛ لأنه هو العزيز القهار الذي كل شيء تحت قهره وقدرته؛ كقوله: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١].

٣١٤ قوله تعالى: ﴿وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

أي: عظمه تعظيماً شديداً ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة على امثال أمره واجتناب نهيه، والمصارعة إلى كل ما يرضيه.



سُورَةُ الْكَهْفِ

٣١٥ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

عَلَّمَ الله ﷻ عباده في أول هذه السورة أن يحمده على أعظم نعمة أنعمها عليهم؛ وهي إنزاله على نبيِّنا ﷺ هذا القرآن.

٣١٦ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

﴿عِوَجًا﴾: نكرة في سياق النفي، فهي تعم نفي جميع أنواع العوج. لا اعوجاج فيه البتة لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني، أخبره كلها صدق وأحكامه عدل.

٣١٧ قد يكون الشيء مستقيماً في الظاهر وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر، ولذا جمع تعالى بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ قِتْمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١، ٢].

٣١٨ قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢].

والإنذار: الإعلام المقترن بتخويف وتهديد؛ فكل إنذار إعلام وليس كل إعلام إنذاراً.

٣١٩ قوله تعالى: ﴿قَتِمًا لِيُنْذِرَ نَاسًا سَئِدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ٢].
﴿قَتِمًا﴾؛ أي: مُسْتَقِيمًا لَا مِيلَ فِيهِ وَلَا زَيْغَ.

٣٢٠ قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

والباخع: المهلك: أي: مهلك نفسك من شدة الأسف على عدم إيمانهم.

٣٢١ قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨].

أي: أرضاً بيضاء لا نبات بها.

٣٢٢ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

إن قصة أصحاب الكهف وإن استعظمها الناس وعجبوا منها، فليست شيئاً عجيباً بالنسبة إلى قدرتنا وإلى ما خلقنا مما هو أعظم منها.

٣٢٣ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩].

الرقيم معناه: المرقوم، فهو «فعل» بمعنى «مفعول» من: رَقَمْتُ الكتاب: إذا كتبه، ومنه قوله: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩].

٣٢٤ قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

ويدل لفظ الفتية على قَلَّتْهُمْ وأنهم شباب لا شيب.

﴿٣٢٥﴾ قوله تعالى: ﴿ءَاِتَيْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

[الكهف: ١٠].

التهيئة: التقريب والتيسير؛ أي: يسر لنا وقرب لنا من أمرنا
رشدًا، والرشد: الاهتداء والديمومة عليه.

﴿٣٢٦﴾ أصحاب الكهف دعوا ربهم هذا الدعاء العظيم الشامل لكل

خير ﴿رَبَّنَا ءَاِتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

﴿٣٢٧﴾ قوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١].

قال أبو حيان: وذكر الجارحة التي هي الآذان؛ لأنه لا
يستحکم نوم إلا مع تعطل السمع وفي الحديث: «ذلك رجل بال
الشيطان في أذنه».

﴿٣٢٨﴾ من آمن بربه وأطاعه زاده ربه هدى لأن الطاعة سبب

للمزيد من الهدى والإيمان ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾
[الكهف: ١٣].

﴿٣٢٩﴾ من كان في طاعة ربه جَلَّ جَلَالُهُ فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ يقوي قلبه، ويثبت

على تحمل الشدائد، والصبر الجميل ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا
فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤].

﴿٣٣٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا﴾ [الكهف: ١٤].

وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن من أشرك مع

خالق السموات والأرض معبوداً آخر، فقد جاء بأمر شطط بعيد عن الحق والصواب في غاية الجور والتعدي؛ لأن الذي يستحق العبادة هو الذي يبرز الخلائق من العدم إلى الوجود؛ لأن الذي لا يقدر على خلق غيره مخلوق يحتاج إلى خالق يخلقه ويرزقه ويدبر شؤونه.

﴿٣٣١﴾ قوله تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

والشطط: البعد عن الحق والصواب وإليه ترجع أقوال المفسرين: (جوراً، تعدياً، كذباً، خطأً) إلى غير ذلك من الأقوال.

﴿٣٣٢﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥]؛ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب بادعاء أن له شريكاً، كما افتراه عليه قوم أصحاب الكهف.

﴿٣٣٣﴾ قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥].

﴿لَوْلَا﴾ في هذه الآية الكريمة للتحضيض، وهو الطلب بحث وشدة، والمراد بهذا الطلب التعجيز؛ لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسُلطان بَيِّن على جواز عبادة غير الله، والمراد بالسُلطان البَيِّن: الحجة الواضحة.

﴿٣٣٤﴾ اعتزال المؤمن قومه الكفار ومعبوديه من أسباب لطف الله به ورحمته **﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾** [الكهف: ١٦].

٣٣٥ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ﴾ [الكهف: ١٧].

أي: ترى أيها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل على كهفهم، والمعنى: أنك لو رأيتهم لرأيتهم كذلك، لا أن المخاطب رآهم بالفعل.

٣٣٦ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرُورٌ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: ١٧].

وأصل مادة التزاور: الميل، فمعنى «تزاور»: تميل. والزور: الميل، ومنه شهادة الزور؛ لأنها ميل عن الحق. ومنه الزيارة؛ لأن الزائر يميل إلى المزور، ومن هذا المعنى قول عنترة في معلقته: فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

٣٣٧ قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلْهُ مَحْدَلٌ وَلَبِئْسَ مَرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. ويؤخذ من هذه الآية وأمثالها في القرآن: بطلان مذهب القدرية، أن العبد مستقل بعمله من خير أو شر، وأن ذلك ليس بمشيئة الله بل بمشيئة العبد، سبحانه ﷻ عن أن يقع في ملكه شيء بدون مشيئته! وتعالى عن ذلك علواً كبيراً!

٣٣٨ قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

يدل على أن صحبة الأخيار عظيمة الفائدة قال ابن كثير: وهذا فائدة صحبة الأخيار فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن.

٣٣٩ قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

سبب ظن الرائي أنهم أيقاظ هو أنهم نيام وعيونهم مفتحة وقيل: لكثرة تقلبهم لقوله ﷻ: ﴿وَنَقَلَبْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

﴿٣٤٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُمْ نَسِيطَ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨].

اختلفت عبارات المفسرين في المراد بـ«الوصيد»، والذي يشهد له القرآن أن الوصيد هو الباب؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]؛ أي: مغلقة مطبقة، وذلك بإغلاق كل وصيد أو أصيد، وهو الباب. ونظير الآية من كلام العرب قول الشاعر:
تحن إلى أجدال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

﴿٣٤١﴾ قوله تعالى: ﴿فَاَتَّبَعُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

والورق: الفضة، وأخذ علماء المالكية وغيرهم من هذه الآية الكريمة: جواز الوكالة وصحتها.

وكذلك أخذ بعض علماء المالكية من هذه الآية جواز الشركة؛ لأنهم كانوا مشتركين في الورق التي أرسلوها ليشتري لهم طعاماً بها.

﴿٣٤٢﴾ قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ [الكهف: ١٩].

﴿أزكى﴾ أطيب لكونه حلالاً ليس مما فيه حرام ولا شبهة يدل له القرآن: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي: حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا بدليل من كتاب أو سنة، والمقرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية: «أن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية».

﴿٣٤٣﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ

فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَأَ﴾ [الكهف: ٢٠].

مسألة: أخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة أن العذر بالإكراه من خصائص هذه الأمة؛ لأن قوله عن أصحاب الكهف: ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٠]، ظاهر في إكراههم على ذلك وعدم طواعيتهم، ومع هذا قال عنهم: ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا وَإِذَا أَبَدًا﴾، فدل ذلك على أن ذلك الإكراه ليس بعذر.

٣٤٤ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُوكَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُوكَ سَبْعَةٌ وَثَامُهُمْ كَذِبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢].

أخبر ﷺ في هذه الآية الكريمة عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف، فذكر ثلاثة أقوال على أنه لا قائل برابع، وجاء في الآية الكريمة بقريئة تدل على أن القول الثالث هو الصحيح والأولان باطلان؛ لأنه لما ذكر القولين الأولين بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُوكَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ﴾ الآية [٢٢]، أتبع ذلك بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: قولاً بلا علم، ثم حكى القول الثالث بقوله: ﴿وَيَقُولُوكَ سَبْعَةٌ وَثَامُهُمْ كَذِبُهُمْ﴾ فأقره، ولم يذكر بعده أن ذلك رجم بالغيب، فدل على أنه الصحيح.

٣٤٥ قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢].

قال القرطبي: الرجم: القول بالظن يقال لكل ما يخرص: رجم فيه، كما قال زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

٣٤٦ قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

[الكهف: ٢٢].

* فيه تعليم للناس أن يردوا علم الأشياء إلى خالقها جلّ وإن علموا بها.

* قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل الذي يعلمهم، كانوا سبعة.

٣٤٧ وما يذكره المفسرون من الأقوال في اسم كلبهم، فيقول بعضهم: اسمه قطمير، ويقول بعضهم: اسمه حمران، إلى غير ذلك لم نطل به الكلام لعدم فائدته. ففي القرآن العظيم أشياء كثيرة لم يبينها الله لنا ولا رسوله، ولم يثبت في بيانها شيء، والبحث عنها لا طائل تحته ولا فائدة فيه. واعلم أن ذكره جلّ في كتابه هذا الكلب، في معرض التنويه بشأنهم، يدل على أن صحبة الأخيار عظيمة الفائدة.

٣٤٨ واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم، وفي أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها.

٣٤٩ من المعلوم أن ما يروى عن بني إسرائيل من الأخبار المعروفة بالإسرائيليات له ثلاث حالات:

١ - في واحدة منها يجب تصديقه، وهي ما إذا دل الكتاب أو السنة الثابتة على صدقه.

٢ - وفي واحدة يجب تكذيبه، وهي ما إذا دل القرآن أو السنة أيضاً على كذبه.

٣ - وفي الثالثة لا يجوز التكذيب ولا التصديق، كما في الحديث عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦]» (صحيح البخاري: حديث رقم ٤٤٨٥).

وهي ما إذا لم يثبت في كتاب ولا سُنَّة لا تصدقه ولا تكذبه، وبهذا التحقيق تعلم أن القصص المخالفة للقرآن والسُنَّة الصحيحة التي توجه بأيدي بعضهم، زاعمين أنها في الكتب المنزلة يجب تكذيبهم فيها لمخالفتها نصوص الوحي الصحيح، التي لم تحرف ولم تبدل، والعلم عند الله تعالى.

٣٥٠ قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾

[الكهف: ٢٣].

﴿غَدًا﴾: ما يستقبل من الزمان لا خصوص الغد، ومنه قول زهير:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

٣٥١ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

إن قلت سأفعل غداً كذا ونسيت أن تقول إن شاء الله، ثم تذكرت بعد ذلك فقل إن شاء الله.

مسألة: والتحقيق الذي لا شك فيه أن الاستثناء لا يصح إلا مقترناً بالمستثنى منه، وأن الاستثناء المتأخر لا أثر له ولا محل به اليمين.

٣٥٢ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

يحكى عن المنصور أنه بلغه أن أبا حنيفة رحمته الله يخالف مذهب ابن عباس المذكور؛ فاستحضره لينكر عليه ذلك، فقال الإمام أبو حنيفة للمنصور: هذا يرجع عليك! إنك تأخذ البيعة بالآيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟! فاستحسن كلامه ورضي عنه.

٣٥٣ مسألة: فيما نسب إلى ابن عباس في صحة الاستثناء المتأخر في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

فإن قيل: فما الجواب الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه فيما نسب إليه من القول بصحة الاستثناء المتأخر؟

فالجواب: أن مراد ابن عباس رضي الله عنه أن الله عاتب نبيه على قوله إنه سيفعل كذا غداً، ولم يقل إن شاء الله، وبيّن له أن التعليق بمشيئة الله هو الذي ينبغي أن يفعل؛ لأنه تعالى لا يقع شيء إلا بمشيئته، فإذا نسي التعليق بالمشيئة ثم تذكر ولو بعد طول فإنه يقول إن شاء الله، ليخرج بذلك من عهدة عدم التعليق بالمشيئة، ويكون قد فوض الأمر إلى من لا يقع إلا بمشيئته، فنتيجة هذا الاستثناء: هي الخروج من عهدة تركة الموجب للعتاب السابق، لا أنه يحل اليمين؛ لأن تداركها قد فات بالانفصال، هذا هو مراد ابن عباس كما جزم به الطبري وغيره، وهذا لا محذور فيه ولا إشكال.

٣٥٤ رد العلم إلى الله لا ينافي العلم بدليل أن الله أعلم نبيه ﷺ بمدة لبثهم في قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٥]، ثم أمره برد العلم إليه ﷻ في قوله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ [الكهف: ٢٦].

٣٥٥ قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥].

ثلاثمائة سنة بحساب السَّنة الشمسية، وثلاثمائة سنة وتسع سنين بحساب السَّنة القمرية.

٣٥٦ قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ، وَاسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

أي: ما أبصره وما أسمع الله ﷻ وما ذكره في هذه الآية من اتصافه ﷻ بالسمع والبصر ذكره أيضاً في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

٣٥٧ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

الحكم له وحده ﷻ، لا حكم لغيره ألبتة؛ فالحلال ما أحله تعالى، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، والقضاء ما قضاه.

٣٥٨ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٢٧].

والأمر في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ شامل للتلاوة بمعنى: القراءة، والتلو: بمعنى الاتباع.

٣٥٩ قوله تعالى: ﴿لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].

لأن أخبارها صدق، وأحكامها عدل، فلا يقدر أحد أن يبدل صدقها كذباً، ولا أن يبدل عدلها جوراً.

٣٦٠ قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

يخبر ﷻ أن نبيه ﷺ لا يجد من دونه ملتحدًا: أي: مكاناً يميل إليه ويلجأ إليه إن لم يبلغ رسالة ربه ويطعه.

﴿٣٦١﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَضْمِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

نزلت هذه الآية الكريمة في فقراء المهاجرين؛ كعمار، وصهيب، وبلال، وابن مسعود ونحوهم، لما أراد صناديد الكفار من النبي ﷺ أن يطردوهم عنه، ويجالسهم بدون حضور أولئك الفقراء المؤمنين.

﴿٣٦٢﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

ومعنى اتباعه هواه: أنه يتبع ما تميل إليه نفسه الأماراة بالسوء وتهواه من الشر؛ كالكفر والمعاصي.

﴿٣٦٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَاثَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وأظهر الأقوال في معنى الآية الكريمة عندي أن معنى قوله: ﴿فُرُطًا﴾: أي: متقدماً للحق والصواب، نابذاً له وراء ظهره.

﴿٣٦٤﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

المراد من الآية الكريمة: ليس هو التخيير، وإنما المراد بها: التهديد والتخويف.

﴿٣٦٥﴾ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

والمراد بالظالمين هنا: الكفار؛ بدليل قوله قبله: ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.

٣٦٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقد قدمنا كثرة إطلاق الظلم على الكفر في القرآن كقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القصص: ٢٢]، وقوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

٣٦٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩].

الظلم في لغة العرب: وضع الشيء في غير محله، ومن أعظم ذلك وضع العبادة في مخلوق.

٣٦٨ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

المراد بالسرادق في الآية فيه للعلماء أقوال مرجعها إلى شيء واحد وهو: إحداق النار بهم من كل جانب.

٣٦٩ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

فإن قيل: أي إغاثة في ماء كالمهل مع أنه من أشد العذاب، وكيف قال الله تعالى: ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾؛ فالجواب: أن هذا من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن. ونظيره من كلام العرب قول بشر بن أبي حازم:

غضبت تميم أن تقتل عامر يوم النصار فأعتبوا بالصيلم

فمعنى قوله: «أعتبوا بالصيلم»: أي: أرضوا بالسيف؛ يعني: ليس لهم منا إرضاء إلا بالسيف.

٣٧٠ قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ [الكهف: ٣٥].

﴿كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٣].

ما وجه إفراد الجنة مع أنهما جنتان؟ أنه قال ما ذكره الله عنه حين دخل إحداهما إذ لا يمكن دخوله فيهما معاً في وقت واحد.

٣٧١ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ [الكهف: ٣٤].

والمحاورة: المراجعة في الكلام ومنه قوله **﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١].**

وقول عنترة:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الجواب مكلمي

٣٧٢ قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨].

﴿لَكِنَّا﴾ أصله «لكن أنا» فحذفت همزة «أنا» وأدغمت نون «لكن» في نون «أنا» بعد حذف الهمزة.

٣٧٣ قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١].

معنى قوله: **﴿غَوْرًا﴾**؛ أي: غائراً؛ فهو من الوصف بالمصدر.

والغائر: ضد النابع.

٣٧٤ قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا﴾ [الكهف: ٤١].

﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا﴾؛ لأن الله إذا أعدم ماءها بعد وجوده، لا تجد من يقدر على أن يأتيك به غيره **﴿حَلَّ﴾**.

٣٧٥ قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

[الكهف: ٤٤].

في معنى الآية وجهان:

الأول: أن معنى ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾؛ أي: في ذلك المقام، وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله؛ لأن الكافر إذا رأى العذاب رجع إلى الله.

الثاني: أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده، فيوالي فيه المسلمين ولاية رحمة، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وله على الكافرين ولاية الملك والقهر، كما في قوله: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

٣٧٦ قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

ومعنى تذروه: ترفعه وتفرقه، فهي تذرو التراب والمطر وغيرهما.

٣٧٧ قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالنَّسْلُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالنَّاقِصَاتُ الْفَضْلِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وأقوال العلماء في الباقيات الصالحات كلها راجعة إلى شيء واحد، وهو الأعمال التي ترضي الله، سواء قلنا: إنها الصلوات الخمس، كما هو مروي عن جماعة من السلف؛ منهم: ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبو ميسرة، وعمرو بن شرحبيل، أو أنها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وعلى هذا القول جمهور العلماء، وجاءت

دالة عليه أحاديث مرفوعة عن أبي سعيد الخدري، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، والنعمان بن بشير، وعائشة رضي الله عنها.

٣٧٨ قوله تعالى: ﴿وَحَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

الذي يؤمل من عواقب الباقيات الصالحات، خير مما يؤمله أهل الدنيا من زينة حياتهم الدنيا، والأمل: طمع الإنسان بحصول ما يرجوه في المستقبل.

٣٧٩ قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

تنبيه الناس للعمل الصالح لئلا يشتغلوا بزينة الحياة الدنيا.

٣٨٠ قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

بارزة، البروز: الظهور؛ أي: ترى الأرض ظاهرة منكشفة لذهاب الجبال والظراب والآكام، والشجر والعمارات التي كانت عليها.

٣٨١ قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

أي: لم نترك، والمغادرة: الترك، ومنه الغدر؛ لأنه ترك الوفاء والأمانة، وسمي الغدير من الماء غديراً لأن السيل ذهب وتركه.

٣٨٢ قوله تعالى: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿صَفًّا﴾ في هذه الآية يراد به: صفوفاً؛ كقوله في الملائكة: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

٣٨٣ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾: عبّر فيه بالماضي وأراد المستقبل؛ لأن تحقيق وقوع ذلك ينزله منزلة الواقع بالفعل.

٣٨٤ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨].

أي: والله لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة؛ أي: حفاة عراة غرلاً، كل واحد منكم فرد لا مال معه ولا ولد، ولا خدم.

٣٨٥ قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَزَيَّ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾

[الكهف: ٤٨].

المراد بالكتاب: جنس الكتاب، فيشمل جميع الصحف التي كتبت فيها أعمال المكلفين في دار الدنيا.

٣٨٦ قوله تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ نَحْنُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨].

ذكر ﷺ في هذه الآية الكريمة أن الكفار زعموا أن الله لن يجعل لهم موعداً، والموعود يشمل زمان الوعد ومكانه، والمعنى: أنهم زعموا أن الله لم يجعل وقتاً ولا مكاناً لإنجاز ما وعدهم على السنة رسله من البعث والجزاء والحساب. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من إنكارهم البعث جاء مبيناً في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ [التغابن: ٧]، وقد بين الله تعالى كذبهم في إنكارهم للبعث في آيات كثيرة؛ كقوله في هذه السورة الكريمة: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا﴾ [الكهف: ٥٨] وقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧].

٣٨٧ قوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

يوم القيامة يجدون أعمالهم التي عملوها في الدنيا حاضرة محصاة عليهم.

٣٨٨ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ذكر عليه السلام في هذه الآية: أنه لا يظلم أحداً، فلا ينقص من حسنات محسن، ولا يزيد من سيئات مسيء، ولا يعاقب على غير ذنب.

٣٨٩ قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

هذه الآية الكريمة يفهم منها أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؛ لأنهم وجدوا في كتاب أعمالهم صفائر ذنوبهم محصاة عليهم، فلو كانوا غير مخاطبين بها لما سجلت عليهم في كتاب أعمالهم. والعلم عند الله تعالى.

٣٩٠ قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾ [الكهف: ٥٠].

ولأجل ظاهر هذه الآية الكريمة ذهبت جماعة من العلماء إلى أن إبليس ليس من الملائكة في الأصل بل من الجن.

٣٩١ قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

أي: خرج عن طاعة أمر ربه، والفسق في اللغة: الخروج؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج:

يهوين في نجد وغوراً غائراً فواسقاً عن قصدها جوائراً

٣٩٢ قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ

عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠].

دليل على أن للشيطان ذرية ولكن طريقة وجود نسله هل هي عن تزويج أو غيره، لا دليل عليها من نص صريح. فادعاء أنه لا ذرية له مناقض لهذه الآية مناقضة صريحة كما ترى.

٣٩٣ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

قوله: ﴿عَضُدًا﴾؛ أي: أعواناً، وفي هذه الآية الكريمة التنبيه على أن الضالين المضلين لا ينبغي الاستعانة بهم.

٣٩٤ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢].

والتحقيق: أن الموبق المهلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمًا كَسْبًا﴾ [الشورى: ٣٤]؛ أي: يهلكهن.

٣٩٥ قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ

يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

والظن في هذه الآية بمعنى: اليقين؛ لأنهم أبصروا الحقائق وشاهدوا الواقع.

٣٩٦ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣].

المصرف: المعدل؛ أي: ولم يجدوا عن النار مكاناً ينصرفون إليه ويعدلون إليه، ليتخذوه ملجأً ومعتصماً ينجون فيه من عذاب الله.

٣٩٧ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية: الجدل الخصومة خصومة القوم لأنبيائهم وردهم عليهم ما جاءوا به.

٣٩٨ قوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [الكهف: ٥٦].

والباطل: ضد الحق وكل شيء زائل مضمحل تسميه العرب: باطلاً، ومنه قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

٣٩٩ قوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

والحق: ضد الباطل، وكل شيء ثابت غير زائل ولا مضمحل تسميه العرب حقاً.

٤٠٠ قوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦].

يجادلون بالباطل؛ أي: يخاصمون الرسل بالباطل؛ كقولهم في الرسول: ساحر، شاعر، كاهن.

٤٠١ قوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [الكهف: ٥٦].

ويجمع الباطل كثيراً على أباطيل على غير القياس، ومنه قول كعب بن زهير:

وما مواعيدها إلا الأباطيل

٤٠٢ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧].

لا أحد أظلم؛ أي: أكثر ظلماً لنفسه ممن ذكر؛ أي: وعظ بآيات ربه، وهي هذا القرآن فأعرض عنها؛ أي: تولى وصد عنها.

٤.٣ قوله تعالى: ﴿وَسَيَ مَا قَدَمَتْ يَدَهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

ونسبة التقديم إلى خصوص اليد؛ لأن اليد أكثر مزاولة للأعمال من غيرها من الأعضاء فنسبت الأعمال إليها على عادة العرب في كلامهم.

٤.٤ قوله تعالى: ﴿وَسَيَ مَا قَدَمَتْ يَدَهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

أي: من المعاصي والكفر، مع أن الله لم ينسه؛ بل هو محصيه عليه ومجازيه، كما قال تعالى: ﴿أَخْصَنُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

٤.٥ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿وَقْرًا﴾؛ أي: ثقلاً يمنعها من سماع ما ينفعهم من الآيات التي ذكروا بها.

٤.٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿أَكِنَّةً﴾؛ أي: أغطية تغطي قلوبهم فتمنعها من إدراك ما ينفعهم مما ذكروا به، وواحد الأكنة كنان، وهو الغطاء.

٤.٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: يفهموه؛ فالفقه: الفهم، ومنه قوله جاءه ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]؛ أي: يفهمونه.

٤٠٨ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧].

﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ فيه وفي كل ما يشابهه من الألفاظ وجهان معروفان لعلماء التفسير:

أحدهما: أن المعنى: جعلنا على قلوبهم أكنة لئلا يفقهوه، وعليه فلا النافية محذوفة دل المقام عليها، وعلى هذا القول هنا اقتصر ابن جرير الطبري.

والثاني: أن المعنى: جعلنا على قلوبهم أكنة كراهة أن يفقهوه، وعلى هذا فالكلام على تقدير مضاف.

٤٠٩ قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

ذكر عليه السلام في هذه الآية: أنه غفور؛ أي: كثير المغفرة، وأنه ذو الرحمة يرحم عباده المؤمنين يوم القيامة ويرحم الخلائق في الدنيا.

٤١٠ قوله تعالى: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الكهف: ٥٨].

بيّن في هذه الآية الكريمة: أنه لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب كالكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه حلیم لا يعجل بالعقوبة، فهو يمهّل ولا يهمل.

٤١١ قوله تعالى: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ [الكهف: ٥٨].

أي: ملجأ يلجئون إليه فيعتصمون به من ذلك العذاب المجعول له الموعد المذكور.

٤١٢ قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩].

وتلك القرى إنما أشير به لهم لأنهم يمرون عليها في أسفارهم؛ كقوله: ﴿وَإِذْ لَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَالَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصفات: ١٣٧، ١٣٨].

٤١٣ قوله تعالى: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾

[الكهف: ٦٠].

ومعلوم أن تعيين «البحرين» من النوع الذي قدمنا أنه لا دليل عليه من كتاب ولا سُنَّة، وليس في معرفته فائدة؛ فالبحث عنه تعب لا طائل تحته، وليس عليه دليل يجب الرجوع إليه.

٤١٤ قوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١].

أسند النسيان إليهما - مع أن من نسي فتى موسى - لأن إطلاق المجموع مراداً بعضه أسلوب عربي كثير في القرآن وفي كلام العرب.

٤١٥ قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣].

دليل على أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه آيات أخرى؛ كقوله تعالى: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

٤١٦ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾

[الكهف: ٧٩].

هذه الآية الكريمة مثلاً عند علماء العربية لحذف النعت؛ أي: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غير معيبة.

٤١٧ الخضر عليه السلام نبي.. ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى عنه: ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ﴾ [الكهف: ٨٢]؛ أي: وإنما فعلته عن أمر الله ﷻ، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله ﷻ.

٤١٨ قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦].

قال ابن كثير: رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه.

٤١٩ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿إِنَّمَا﴾ من صيغ الحصر فكأن جميع ما أوحى إليه منحصر في معنى (لا إله إلا الله).

٤٢٠ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: ١٠٣].

عن علي عليه السلام: أنهم أهل حروراء «الخوارج».

٤٢١ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمُ﴾ [الكهف: ١٠٤].

أي: بطل واضمحل، والضلال يطلق في القرآن واللغة العربية ثلاثة إطلاقات:

الأول: الضلال بمعنى: الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطل؛ كالذهاب عن الإسلام إلى الكفر، وهذا أكثر استعمالاته في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

الثاني: الضلال بمعنى: الهلاك والغيبة والاضمحلال، ومنه قول العرب: ضل السمن في الطعام إذا استهلك فيه وغاب فيه، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤]؛ أي: غاب واضمحل.

الثالث: الضلال بمعنى: الذهاب عن علم حقيقة الأمر المطابقة للواقع، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]؛ أي: ذاهباً عما تعلمه الآن من العلوم والمعارف التي لا تعرف إلا بالوحي فهداك إلى تلك العلوم والمعارف بالوحي.

﴿٤٢٢﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة. اقرءوا ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]» [صحيح مسلم: الحديث رقم ٢٧٨٥]

﴿٤٢٣﴾ النزول بضمين: هو رزق الضيف الذي يقدم له عند نزوله إكراماً له، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وربما استعملت العرب النزول على سبيل التهكم والاحتقار، وجاء القرآن باستعمال النزول فيما يقدم لأهل النار من العذاب كقوله: ﴿لَا كُلُّونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٢] إلى قوله: ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦]؛ أي: هذا العذاب المذكور هو ضيافتهم ورزقهم المقدم لهم عند نزولهم في دارهم التي هي النار.

٤٢٤ قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

أي: خالدين في جنات الفردوس ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾؛ أي: تحولاً إلى منزل آخر؛ لأنها لا يوجد منزل أحسن منها يرغب في التحول إليه عنها؛ بل هم خالدون فيها دائماً من غير تحول ولا انتقال.



سُورَةُ مَرْيَمَ

٤٢٥ قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، يَدَاءُ خَفِيًّا ﴿[مريم: ٢، ٣].

ثناؤه ﷺ عليه بكون دعائه خفياً يدل على إخفاء الدعاء أفضل من إظهاره وإعلانه.

٤٢٦ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

وهذا الذي ذكره هنا من إظهار الضعف يدل على أنه ينبغي للداعي إظهار الضعف والخشية والخشوع في دعائه.

٤٢٧ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].
أي: لم أكن بدعائي إياك شقياً؛ أي: لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك؛ يعني: أنك عودتني الإجابة فيما مضى.

٤٢٨ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوْلَىٰ مِنْ وَرَاءِ وَكَأَنِّي آمَرْتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (٥) بَرِّئِي وَبَرِّثْ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿[مريم: ٥، ٦].

معنى قوله: ﴿خِفْتُ الْمَوْلَىٰ﴾؛ أي: خفت أقاربي وبني عمي وعصبتي: أن يضيعوا الدين بعدي، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام، فارزقني ولداً يقوم بعدي بالدين حق القيام.

[٤٢٩] قوله تعالى: ﴿بَرِّئِي وَبَرِّثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَصِيًّا﴾

[مريم: ٦].

معنى قوله: ﴿بَرِّئِي﴾ أنه إرث علم ونبوة، ودعوة إلى الله والقيام بدينه، لا إرث مال، ويدل لذلك أمران:

أحدهما: قوله: ﴿وَبَرِّثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين.

والأمر الثاني: ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يورث عنهم المال، وإنما يورث عنهم العلم والدين، فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة».

[٤٣٠] قوله تعالى: ﴿يَرْكَرِبًا إِنَّا نُنْشِرُكَ يُعْلِمُ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ [مريم: ٧].

قوله **حَلَالًا**: ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾ يدل على أن الله هو الذي سماه، ولم يكل تسميته إلى أبيه، وفي هذا منقبة عظيمة ليحيى عليه السلام.

[٤٣١] قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

أي: لم نجعل من قبله أحداً يسمى باسمه، فهو أول من كان اسمه يحيى.

[٤٣٢] قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

السمي يطلق في اللغة إطلاقين:

١ - فلان سمي فلان؛ أي: مسمى باسمه.

٢ - إطلاق السمي: يعني: المسامي؛ أي: المماثل في السمو

والرفعة.

٤٣٣ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَكُّ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩].

دليل على أن المعدوم ليس بشيء، ونظيره قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَوْ يَخَذُّهُ شَيْئًا﴾ [السور: ٣٩]، وهذا هو الصواب، خلافاً للمعتزلة.

٤٣٤ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

اجعل لي علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به من الولد.

٤٣٥ قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

أن تمنع الكلام فلا تطيقه ثلاث ليال بأيامهن في حال كونك سويًّا؛ أي: سوي الخلق، سليم الجوارح.

٤٣٦ قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

وأصل معنى «الْحُكْمَ»: المنع، والعلم النافع، والعمل به يمنع الأقوال والأفعال من الخلل والفساد والنقصان.

٤٣٧ قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

﴿صَبِيًّا﴾؛ أي: لم يبلغ، وهو الظاهر.

٤٣٨ قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

أن الله أعطاه الفهم في الكتاب؛ أي: إدراك ما فيه والعمل به في حال كونه صبيًّا.

٤٣٩ قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣].

والحنان: هو ما جبل عليه من الرحمة، والعطف والشفقة،
ومنه قول طرفه:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

٤٤٠ قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

وإنما خص هذه الأوقات الثلاثة بالسلام لأنها أوحش من غيرها.

٤٤١ والظاهر: أن سلام الله على يحيى في قوله: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥] أعظم من سلام عيسى على نفسه في قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ [مريم: ٣٣] كما هو ظاهر.

٤٤٢ قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ [مريم: ٢٣].

والمخاض: الطلق، وهو وجع الولادة، وسمي مخاضاً من المخض، وهو الحركة الشديدة لشدة تحرك الجنين في بطنها إذا أراد الخروج. وأقوال العلماء في قدر المدة التي حملت فيها مريم بعيسى قبل الوضع لم نذكرها؛ لعدم دليل على شيء منها، وأظهرها أنه حمل كعادة حمل النساء.

٤٤٣ قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ [مريم: ٢٣].

العرب تقول: جاء فلان، وأجاءه غيره: إذا حمّله على المجيء، ومنه قول زهير:

وجار سار معتمدا إلينا أجاأته المخافة والرجاء

٤٤٤ قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: أظهر القولين عندي أن الذي ناداها هو ابنها عيسى، وتدل على ذلك قريتان:

الأولى: أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور إلا بدليل صارف عن ذلك يجب الرجوع إليه، وأقرب مذكور في الآية هو عيسى لا جبريل؛ لأن الله قال: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ [مريم: ٢٢]؛ يعني: عيسى ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ [مريم: ٢٢]؛ أي: بعيسى.

ثم قال بعده: ﴿فَنَادَتْهَا﴾ [مريم: ٢٤]؛ فالذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى عليه السلام.

والقرينة الثانية: أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه، كما قال تعالى عنها: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته.

٤٤٥ قوله تعالى: ﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤].

المراد بالسري: هو الجدول وهو النهر الصغير، ومنه قول

ليبد:

فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاورا قلامها

٤٤٦ قوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦].

اختار ابن كثير أن المراد: قولي ذلك بالإشارة، وهذا يدل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام.

٤٤٧ قوله تعالى: ﴿وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِحَدِّ النَّحْلَةِ تَنْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

وقد أخذ بعض العلماء من هذه الآية أن خير ما تطعمه النفساء الرطب.

٤٤٨ السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعاً لا ينافي التوكل على الله عز وجل: ﴿وَهَرَىٰ إِلَيْكَ بِحَدِّ النَّحْلَةِ تَنْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

٤٤٩ قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦].
أي: إمساكاً عن الكلام في قول الجمهور، والصوم لغة: الإمساك.. قال النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلق اللجما

٤٥٠ قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦].
الصحيح في معنى الآية: أن المراد بالصوم: الإمساك عن الكلام، بدليل قوله بعده: ﴿فَلَنَ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا﴾؛ فهذا النذر الذي نذرتة ألا تكلم اليوم إنسياً كان جائزاً في شريعتهم، أما في الشريعة التي جاءنا بها نبينا ﷺ فلا يجوز ذلك النذر ولا يجب الوفاء به.

٤٥١ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠].
أول كلمة نطق لهم بها عيسى وهو صبي في مهده أنه عبد الله،

وفي ذلك أعظم زجر للنصارى عن دعواهم أنه الله أو ابنه أو إله معه .

٤٥٢ قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

التحقيق فيه إن شاء الله: أنه عبّر بالماضي عما سيقع في المستقبل تنزيلاً لتحقيق الوقوع منزلة الوقوع.

٤٥٣ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

اعلم أولاً أن لفظ ﴿مَا كَانَ﴾ يدل على النفي، فتارة يدل ذلك النفي من جهة المعنى على الزجر والردع؛ كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [النوبة: ١٠٢]، وتارة يدل على التعجيز؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَابًا ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠]، وتارة يدل على التنزيه؛ كقوله هنا: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥].

٤٥٤ قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوسَ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨] أسمع بهم وأبصر صيغتا تعجب، ومعنى الآية الكريمة: أن الكفار يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرسل سمعاً وإبصاراً عجيبين، وأنهم في دار الدنيا في ضلال وغفلة لا يسمعون الحق ولا يبصرونه؛ كقوله تعالى في سمعهم وإبصارهم يوم القيامة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

٤٥٥ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩].

الحسرة: أشد الندم والتلف على الشيء الذي فات ولا يمكن تداركه، والإنذار: الإعلام المقترن بتهديد.

٤٥٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠].

أنه تعالى يُميت جميع الخلائق الساكنين بالأرض، ويبقى هو عَلَّاهُ لأنه الحي الذي لا يموت، ثم يرجعون إليه يوم القيامة.

٤٥٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١].

الصديق: صيغة مبالغة من الصدق لشدة صدق إبراهيم في معاملته مع ربه وصدق لهجته كما شهد الله له بصدق معاملته ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [الحج: ٣٨].

٤٥٨ قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذِ الْبَنَاتِ﴾ [مريم: ٤٤].

التاء فيه عوض عن ياء المتكلم فالأصل: يا أبي كما أشار له في الخلاصة بقوله:

وفي الندا «أبت أمت» عرض واكسر أو افتح ومن الياء التاء عوض

٤٥٩ قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ﴾ [مريم: ٤٤].

عبادته: طاعته للشيطان في الكفر والمعاصي فذلك الشرك شرك طاعة؛ كقوله عَلَّاهُ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠].

٤٦٠ قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِتِي يَتَابَرَهُمْ لَئِنْ لَّمْ تَسْءَلْهُ

لَأَزْجِمَنَّكَ وَافْخَرَنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

قابل جوابه العنيف بغاية الرفق واللين: ﴿قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ
سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧].

٤٦١ قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

التحقيق في قوله: ﴿مَلِيًّا﴾ أن المراد به: الزمن الطويل، ومنه
قول مهلهل:

فتصدعت صم الجبال لموته وبكت عليه المرملات مليا

٤٦٢ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ
بِي خَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

﴿خَفِيًّا﴾؛ أي: لطيفاً بي، كثير الإحسان إليّ.

٤٦٣ قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ
رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

اعلم أن في قوله: ﴿مُخْلَصًا﴾ قراءتين سبعيتين: قرأه عاصم
وحمزة والكسائي بفتح اللام بصيغة اسم المفعول، والمعنى على هذه
القراءة: أن الله استخلصه واصطفاه؛ ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى:
﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَتِي﴾ [الاعراف:
١٤٤]، وقرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿مُخْلَصًا﴾ بكسر
اللام بصيغة اسم الفاعل؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

٤٦٤ قوله تعالى: ﴿وَتَدْنِيهِ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢].

والنداء المذكور: نداء الله له، فهو كلام الله أسمعته نبيّه

موسى ﷺ.

٤٦٥ وعد أباه بصبره له على ذبحه ثم وفى بهذا الوعد، وهذا من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في وعده، ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤].

٤٦٦ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [مريم: ٥٨].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: قال السدي وابن جرير رحمهما الله: فالذي عني به من ذرية آدم: «إدريس»، والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح: «إبراهيم»، والذي عني به من ذرية إبراهيم: «إسحاق ويعقوب وإسماعيل»، والذي عني به من ذرية إسرائيل: «موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم»، قال ابن جرير: ولذلك فرق أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم؛ لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس فإنه جد نوح.

٤٦٧ قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم: ٥٩].

قال ابن الأعرابي: الخلف بالفتح: الصالح، وبالسكون: الطالح؛ قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

٤٦٨ قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

العرب تطلق الغي على كل شر، والرشاد على كل خير؛ قال المرقش الأصغر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً

﴿٤٦٩﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩].

أجمع العلماء على أن تارك الصلاة الجاحد لوجوبها كافر، ويقتل كفراً ما لم يتب.

﴿٤٧٠﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩].

اعلم أن التحقيق أنه يجب تقديم الصلوات الفوائت على الصلاة الحاضرة.

﴿٤٧١﴾ قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ [مريم: ٥٩].

مسألة: - ترتيب الفوائت في أنفسها فأكثر أهل العلم على وجوبه مع الذكر لا مع النسيان، وهو الأظهر.

﴿٤٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

اللغو: هو فضول الكلام، وما لا طائل تحته، ويدخل فيه فحش الكلام وباطله.

﴿٤٧٣﴾ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢].

﴿إِلَّا سَلَامًا﴾، استثناء منقطع؛ أي: لكن يسمعون فيها سلاماً؛ لأنهم يسلم بعضهم على بعض، وتسلم عليهم الملائكة.

٤٧٤ قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

معناه: أنه تعالى ليس له نظير ولا مماثل يساميه في العلو والعظمة والكمال.

٤٧٥ من أساليب العربية إسناد الفعل إلى المجموع، مع أن فاعله بعضهم لا جميعهم، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦].

٤٧٦ كان عدماً فأوجدناه، وإيجادنا له المرة الأولى دليل قاطع على قدرتنا على إيجاده بالبعث مرة أخرى قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦].

٤٧٧ قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْصِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨].

جثيًّا: جمع: جاث، والجاثي: اسم فاعل: جثا يجثو جثوا، وجثى يجثي جثيًّا: إذا جلس على ركبتيه.

٤٧٨ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا أَشَدَّ عَلَى الرَّاغِبِينَ عِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

أن الرؤساء القادة في الكفر يعذبون قبل غيرهم ويشدد عليهم العذاب لضلالهم وإضلالهم.

٤٧٩ قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

يعني: أن ورودهم النار المذكور كان حتماً على ربك مقضياً؛

أي: أمراً واجباً مفعولاً لا محالة، والحثم: الواجب الذي لا محيد عنه.

٤٨٠ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [مريم: ٧٣].

بينات: مرتلات الألفاظ، واضحات المعاني، بينات المقاصد، إما محكمات جاءت واضحة، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات.

٤٨١ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَوْا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أي: مجلساً ومجتمعاً، والاستفهام في قوله: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ الظاهر: أنه استفهام تقرير، ليحملوا به ضعفاء المسلمين الذين هم في نقشف ورثاة هيئة على أن يقولوا أنتم خير مقاماً وأحسن ندياً منا.

٤٨٢ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَوْا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣].

لجهلهم يظنون أن الله لم يعطهم نصيباً من الدنيا إلا لرضاه عنهم، ومكانتهم عنده، وأن الأمر في الآخرة سيكون كذلك. وقد أبطل الله تعالى دعواهم هذه في آيات كثيرة من كتابه؛ كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيعًا﴾ [مريم: ٧٤].

٤٨٣ قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيعًا﴾

[مريم: ٧٤].

وكم هي الخبرية، ومعناها: الإخبار بعدد كثير؛ الأناث: متاع البيت؛ ورثياً: أحسن منظراً وهيئة.

٤٨٤ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾ [مريم: ٧٥].

وأظهر الأقوال عندي في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾، أنه متعلق بما قبله وما يليه، والمعنى: فليمدد له الرحمن مدًّا حتى إذا رأى ما يوعد علم أن الأمر على خلاف ما كان يظن.

٤٨٥ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾ [مريم: ٧٥].

في معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء، وكلاهما يشهد له قرآن:

الأول: أن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول هذه الكلمات كدعاء المباهلة بينه وبين المشركين.

الوجه الثاني: أن صيغة الطلب في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾، يراد بها الإخبار عن سُنَّة الله في الضالين، وعليه فالمعنى: أن الله أجرى العادة بأنه يمهل الضال ويملي له فيستدرجه بذلك حتى يرى ما يوعده، وهو في غفلة وكفر وضلال.

٤٨٦ قوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾ [مريم: ٧٥].

﴿شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾، في مقابلة قولهم: ﴿خَيْرُ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]؛ لأن مقامهم هو مكانهم ومسكنهم، والندي: المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم، والجند هم الأنصار والأعوان، فالمقابلة المذكورة ظاهرة.

٤٨٧ سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

أخرج الشيخان وغيرهما من غير وجه عن خباب بن الأرت رضي الله عنه، قال: «جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالا فأقضيك، فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾.

٤٨٨ قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]. ما يقول إنه يؤتاه يوم القيامة من مال وولد؛ أي: نسله منه في الدنيا ما أعطيناه من المال والولد بإهلاكنا إياه.

٤٨٩ قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]. أي: منفرداً لا مال له ولا ولد ولا خدم ولا غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

٤٩٠ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ [مريم: ٨٣].

أي: سلطناهم عليهم وقبضناهم لهم، عن ابن عباس: ﴿تَؤْزُهُمْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ أي: تغريهم إغراء.

٤٩١ قال ابن السماك وهو يعظ المأمون: إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفذ؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [مريم: ٨٤].

٤٩٢ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْتَرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].
الوفد: جمع: وافد، والوافد: من يأتي إلى الملك مثلاً إلى أمر له شأن، وجمهور المفسرين على أن معنى: ﴿وَفْدًا﴾: ركبانا.

٤٩٣ قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ [مريم: ٨٦].
الورد: الإتيان إلى الماء؛ ولما كان الإتيان إلى الماء لا يكون إلا من العطش أطلق هنا اسم الورد على الجماعة العطاش.

٤٩٤ قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اخْتَدَّ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

لأنهم إذا كانوا لا يستحقون أن يشفع فيهم غيرهم لكفرهم فشفاعتهم في غيرهم ممنوعة من باب أولى.

٤٩٥ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي ءَامَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

محبة في قلوب عباده وصرح في موضع آخر بدخول نبيه موسى في هذا العموم ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩].

٤٩٦ قوله تعالى: ﴿وَنُذِرُكَ فَوْمًا لِّذَا﴾ [مريم: ٩٧].

﴿لِّذَا﴾ جمع: الألد، وهو شديد الخصومة، ومنه قوله ﴿لِّذَا﴾: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وقول الشاعر:

أَسِيتَ نَجِيًّا لِلْهَمومِ كَأَنِّي أَخَاصِمُ أَقْوَامًا ذَوِي جَدَلٍ لَدَا

[٤٩٧] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾

(مريم: ١٩٨).

﴿رِكْزًا﴾؛ أي: صوتاً، وأصل الرِكَز: الصوت الخفي، ومنه
رِكَز الرمح: إذا غيب طرفه وأخفاه في الأرض.



سُورَةُ طه

٤٩٨ قوله تعالى: ﴿مَا أَرْزَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢].

أصل الشقاء في اللغة: العناء والتعب، ومنه قول المتنبي:
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

٤٩٩ في قوله تعالى: ﴿مَا أَرْزَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ٢].

وجهان من التفسير، وكلاهما يشهد له قرآن:

الأول أن المعنى: ﴿مَا أَرْزَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾؛ أي: لتتعب
التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن
يؤمنوا. وهذا الوجه جاءت بنحوه آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَلَا
تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨].

الوجه الثاني: أنه ﷺ صلى بالليل حتى تورمت قدماه،
فأنزل الله: ﴿مَا أَرْزَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾؛ أي: تنهك نفسك بالعبادة،
وتذيقها المشقة الفادحة. وما بعثناك إلا بالحنيفية السمحة. وهذا
الوجه تدل له ظواهر آيات من كتاب الله؛ كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ
فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

٥٠٠ قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنُذَكِّرَ لِمَنْ يَخْشَى﴾ [طه: ٣].

التذكيرة: الموعظة التي تلين لها القلوب فتمثل أمر الله وتجتنب

نهيها، وخص بالتذكرة من يخشى دون غيرهم؛ لأنهم هم المنتفعون بها.

٥٠١ قوله تعالى: ﴿تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ [طه: ٤].

﴿تَزِيلًا﴾: مفعول مطلق، منصوب بنزل مضمرة دل عليها قوله: ﴿مَا أَرْكَبَا عَنْكَ الْقِرَارَ لِيُشْفَى﴾ [طه: ٢]؛ أي: نزل الله تنزيلاً.

٥٠٢ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

ذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته.

٥٠٣ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِرَّ وَخَفَى﴾ [طه: ٧].

الله ﷻ يعلم ما يسره الإنسان اليوم وما سيسره غداً، والعبد لا يعلم ما في غد، كما قال زهير:

ولكنني عن علم ما في غد عم

٥٠٤ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَخَفَى﴾ [طه: ٧].

فلا حاجة لك إلى الجهر بالدعاء، كما قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

٥٠٥ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَخَفَى﴾ [طه: ٧].

أقوال العلماء في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَخَفَى﴾:

﴿يَعْلَمُ السِّرَّ﴾؛ أي: ما قاله العبد سرّاً ﴿وَخَفَى﴾؛ أي: ويعلم ما هو أخفى من السر، وهو ما توسوس به نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦].

وقال بعض أهل العلم: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾؛ أي: ما توسوس

به نفسه ﴿وَأَحْقَى﴾ من ذلك، وهو ما علم الله أن الإنسان سيفعله قبل أن يعلم الإنسان أنه فاعله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

٥٠٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة».

٥٠٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

وقد دل بعض الأحاديث على أن من أسمائه ﷺ ما استأثر به وأنه يعلمه خلقه كحديث: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك».

٥٠٨ من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن: أن زوجة الرجل يطلق عليها اسم الأهل وباعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكور ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ [طه: ١٠].

٥٠٩ قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤].

صريح في أن الله هو المتكلم بذلك صراحة لا تحتل غير ذلك، كما هو معلوم عند من له أدنى معرفة بدين الإسلام.

٥١٠ قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ نَفْثَةً مِّنْ لَّسَانٍ﴾ ﴿نَفْثَهُوْا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨].

قال بعض العلماء: دل قوله: ﴿نَفْثَةً مِّنْ لَّسَانٍ﴾ بالتنكير، والإفراد، وإتباعه لذلك بقوله: ﴿نَفْثَهُوْا قَوْلِي﴾ على أنه لم يسأل إزالة جميع ما نلسانه من العقد؛ بل سأل إزالة بعضها الذي يحصل بإزالته مهم كلامه مع بقاء بعضها. وهذا المفهوم دلّت عليه آيات أخرى؛

كقوله تعالى عنه: ﴿وَأَخِي هَارُوتُ مُوْ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [الفصل: ٣٤].

٥١١ قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ٣٨].

والتعبير بالموصول في قوله: ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ للدلالة على تعظيم شأن الأمر المذكور؛ كقوله: ﴿فَفُغِّسِيْهُمْ مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَبِثُهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

٥١٢ قوله تعالى: ﴿أَرِ أَفْذِيْهِ فِي التَّائُوْتِ فَاَفْذِيْهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ

بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٨]

التَّائُوْتِ: الصندوق.

الْيَمُّ: البحر.

الساحل: شاطئ البحر.

البحر المذكور: نيل مصر.

القذف: الإلقاء.

٥١٣ قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩].

فيها وجهان معروفان عند العلماء:

١ - صيغة الأمر معناها: الخبر.

٢ - صيغة الأمر في قوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ أريد بها الأمر الكوني

القدري.

٥١٤ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩].

قال ابن عباس: أي: أحبه الله وحببه إلى خلقه، وقال قتادة:

كانت في عيني موسى ملاحظة، ما رآه أحد إلا أحبه.

٥١٥ قوله تعالى: ﴿كَانَ نَفَرٌ مِّنْهُ﴾ [صه: ٤٠].

فقرة العين من بردها؛ لأن عين المسرور باردة، ودمع البكاء من السرور بارد جداً، بخلاف عين المحزون فإنها حارة.

٥١٦ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوِي﴾ [طه: ٤٠].

أي: جئت على القدر الذي قدرته وسبق في علمي أنك تجيء فيه فلم تتأخر عنه ولم تتقدم كما قال **جلا:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

٥١٧ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْتَئِي بِذِكْرِ﴾ [طه: ٤٢].

أي: لا تضعف، ولا تفترا في ذكرى، وقد أثنى الله على من يذكره في جميع حالاته في قوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٥١٨ قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَتْ أَنتَ وَأُخُوكَ بِتَبَتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾

[طه: ٤٢].

والونى في اللغة: الضعف، والفتور، ومنه قول العجاج:

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى وما غبر

٥١٩ قال بعض أهل العلم: ﴿أَلْعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾ [طه: ٤٤].

معناه: على رجائكما وطمعكما، فالترجي، والتوقع المدلول عليه بـ: لعل راجع إلى جهة البشر.

٥٢٠ منهج الدعوة من أكرم خلق الله موسى **عليه السلام** إلى أكفر

عباد الله فرعون بهذا الأسلوب الهادي اللين الحكيم منطلقاً من قوله

تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّبَنَاتِنَا أَلَمَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] فكانا كما أمرهما الله وقالوا كما علمهما الله: ﴿فَقَدْ هَلَّ لَكَ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ ٱلْوَحْشَ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩].

٥٢١ ما وجه التثنية في [طه: ٤٧] ﴿إِنَّا رُسُلَا رَبِّكَ﴾ والإفراد في [الشعراء: ١٦] ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ فالإفراد في [الشعراء] نظراً إلى أن أصل الرسول مصدر. والتثنية في [طه] اعتداداً بالوصفية العارضة وإعراضاً عن الأصل.

٥٢٢ قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَعَّ الْهُدَى﴾ [طه: ٤٧].

يدخل فيه السلام على فرعون إن اتبع الهدى؛ ويفهم من الآية: أن من لم يتبع الهدى لا سلام عليه، وهو كذلك.

٥٢٣ قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

أنه تعالى أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه، ثم هداهم إلى طريق استعماله.

٥٢٤ قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّاتٍ شَقَّى﴾ [طه: ٥٣].

التفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم.

٥٢٥ قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّاتٍ شَقَّى﴾ [طه: ٥٣].

أي: أصنافاً مختلفة من أنواع النبات؛ فالأزواج: جمع: زوج، وهو هنا الصنف من النبات.

٥٢٦ قوله تعالى: ﴿وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه: ٥٣].

معناه: أنه جعل في داخل الأرض بين أوديتها وجبالها سبلاً فجاجاً يمر الخلق معها.

٥٢٧ قوله تعالى: ﴿أَلَدَىٰ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن تَحْتِ شَجَرٍ ﴿٥٣﴾ كَلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٣ - ٥٤].

وقد بيّن ﷻ في هاتين الآيتين أربع آيات من آياته الكبرى الدالة على أنه المعبود وحده. ومع كونها من آيات تدل على كمال قدرته واستحقاقه العبادة وحده دون غيره فهي من النعم العظمى على بني آدم.

الأولى: فرش الأرض على هذا النمط العجيب.

الثانية: جعله فيها سبلاً يمر معها بنو آدم ويتوصلون بها من قطر إلى قطر.

الثالثة: إنزاله الماء من السماء على هذا النمط العجيب.

الرابعة: إخراج أنواع النبات من الأرض.

٥٢٨ قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ﴾ [طه: ٥٤].

الأمر في قوله: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ للإباحة ولا يخفى ما تضمنه من الامتنان والاستدلال على استحقاق المنعم بذلك للعبادة وحده.

٥٢٩ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

أي: لأصحاب العقول فالنهي: جمع: نهية بضم النون، وهي العقل لأنه ينهى صاحبه عما لا يليق.

٥٢٠ قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

ذكر في هذه الآية ثلاث مسائل:

١ - خلق بني آدم من الأرض.

٢ - يعيدهم فيها.

٣ - يخرجهم منها مرة أخرى.

٥٢١ قوله تعالى: ﴿مَكَانًا سَوًى﴾ [طه: ٥٨].

مكان وسط تستوي أطراف البلد فيه. لتوسطها بينها، فلم يكن أقرب للشرق من الغرب، ولا للجنوب من الشمال. ليتمكن جميع الناس أن يحضروا.

٥٢٢ قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى﴾ [طه: ٥٩].

وأقوال أهل العلم في يوم الزينة راجعة إلى أنه يوم معروف لهم، يجتمعون فيه ويتزينون. سواء قلنا: إنه يوم عيد لهم، أو يوم عاشوراء، أو يوم النيروز، أو يوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون فيه بأنواع الزينة.

٥٢٣ قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحًى﴾ [طه: ٥٩].

قال الزمخشري: وإنما واعدهم موسى ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه، وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد في المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق،

ويكل حد المبطلين وأشياعهم، ويكثر المحدث بذلك الأمر. ليعلم في كل بدو وحضر، ويشيع في جميع أهل الوبر، والحضر.

٥٢٤ قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: ٦٠].

المراد: جمعه للسحرة من أطراف مملكته، ويدل على هذا تسمية السحر في القرآن كيداً كقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا صَعَوْا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ [طه: ٦٩].

٥٢٥ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَعَوْا﴾ [طه: ٦٩].

المراد بقوله ﷻ: ﴿تَلْقَفَ مَا صَعَوْا﴾: أنها تبتلع كل ما زوروه وافتعلوه من الحبال، والعصي التي خيلوا للناس أنها تسعى.

٥٢٦ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

دليل على كفر الساحر؛ لأن الفلاح لا ينفي بالكلية نفياً عاماً إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر.

٥٢٧ الفعل في سياق النفي من صيغ العموم؛ كقوله تعالى:

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩] يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر.

٥٢٨ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

السحر لغة: كل شيء خفي سببه ولفظ ودق، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر.

٥٢٩ قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾

[طه: ٧٠].

وأطلق عليهم اسم السحرة في حال سجودهم لله مؤمنين به
نظراً إلى حالهم الماضية.

٥٤٠ قوله تعالى: ﴿فَلَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأُزْجِلْكُمْ مِنْ خِلْفٍ﴾ [طه: ٧١].

الله ﷻ عصمهم منه لأجل إيمانهم الراسخ بالله تعالى؛ لأن الله
يقول لموسى وهارون:

﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِيُونَ﴾ [القصر: ٣٥].

٥٤١ قوله تعالى: ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا﴾ [طه: ٧٣].

خطايانا جمع: خطيئة، وهي الذنب العظيم؛ كال كفر ونحوه.

٥٤٢ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣].

وأكثر المفسرين على أن المعنى: أن ثوابه خير مما وعدهم
فرعون؛ ﴿وَأَبْقَى﴾؛ أي: أديم؛ لأن ما وعدهم به فرعون زائل،
وثواب الله باق.

٥٤٣ قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧].

الدرك: اسم مصدر بمعنى: الإدراك؛ أي: لا يدرك فرعون
وجنوده، ولا يلحقونك من ورائك، ولا تخشى من البحر أمامك.

٥٤٤ تقرر في علم النحو أن الفعل المضارع المنفي بلا إذا

كانت جملته حالية وجب الربط فيها بالضمير وامتنع بالواو؛ كقوله
تعالى: ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ [طه: ٧٧]؛ أي: في حال كونك لا تخاف
دركاً.

٥٤٥ قوله تعالى: ﴿فَالْتَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، فَعَثِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

﴿الْيَمِّ﴾؛ أي: البحر؛ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾؛ أي: أغرق الله فرعون وجنوده في البحر فهلكوا عن آخرهم.

٥٤٦ قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الِّمْنَ وَالسَّلْوَى﴾ [طه: ٨٠].

الِّمْنَ: اسم جامع لما يمن الله به على عبده من غير كد، ولا تعب؛ وَالسَّلْوَى: طائر سواء قلنا: إنه السمانى أو طائر يشبهه.

٥٤٧ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحِلِّدْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].

﴿هَوَى﴾: هلك وصار إلى الهاوية، وأصله أن يسقط من جبل أو نحوه فيهوي إلى الأرض فيهلك، ومنه قول الشاعر:
هوى من رأس مرقبة فزلة رجله ويده

٥٤٨ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحِلِّدْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].

واعلم أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم. نعوذ بالله من غضبه ﷻ. ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت فنصدق ربنا في كل ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك، مع تنزيها التام له ﷻ عن مشابهة المخلوقين ﷻ عن ذلك علواً كبيراً.

٥٤٩ قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقَكُمُ وَلَا تَطْفَؤْا فِيهِ﴾ [طه: ٨١].

﴿وَلَا تَطْفَؤْا فِيهِ﴾ نهاهم عن الطغيان فيما رزقهم، وهو أن يتعدوا حدود الله فيه بأن يكفروا نعمته به، ويشغلهم اللهو والنعيم

عن القيام بشكر نعمه، وأن ينفقوا رزقه الذي أنعم عليهم به في المعاصي، أو يستعينوا به على المعصية، أو يمنعوا الحقوق الواجبة عليهم فيه، ونحو ذلك.

٥٥٠ قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

غفار: كثير المغفرة لمن تاب إليه من معاصيه وكفره، وآمن به وعمل صالحاً ثم اهتدى.

٥٥١ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِثْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٣، ٨٤].

وفي هذه الآية سؤال معروف: وهو أن جواب موسى ليس مطابقاً للسؤال الذي سألته ربه؛ لأن السؤال عن السبب الذي أعجله عن قومه، والجواب لم يأت مطابقاً لذلك. لأنه أجاب بقوله: هم أولاء على أثري وعجلت إليك.

وأجيب عن ذلك بأجوبة:

(منها): أن قوله: ﴿هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾؛ يعني: هم قريب وما تقدمتهم إلا ببسیر يغتفر مثله، فكأنني لم أتقدمهم ولم أعجل عنهم لقرب ما بيني وبينهم.

(ومنها): أن الله ﷻ لما خاطبه بقوله: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾ داخله من الهيبة، والإجلال، والتعظيم لله ﷻ ما أذهله عن الجواب المطابق.. والله أعلم.

٥٥٢ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥].

الفتنة المذكورة هي عبادتهم العجل؛ فهي فتنة إضلال؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

٥٥٣ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥].

«الفتنة»: أطلقت في القرآن إطلاقات متعددة:

(منها): الوضع في النار؛ كقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الدَّارِيَات: ١٣].

أي: يحرقون بها.

(ومنها): الاختبار وهو الأغلب في استعمال الفتنة؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

(ومنها): نتيجة الاختبار إذا كانت سيئة. ومن هنا أطلقت الفتنة على الشرك؛ كقوله:

﴿وَقَالُوا لَهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله في هذه الآية: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ [طه: ٨٥].

(ومنها): الحجة؛ كقوله: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]؛ أي: لم تكن حجتهم.

٥٥٤ قوله تعالى: ﴿وَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦].

«أسفا»؛ أي: شديد الغضب؛ وعلى هذا فقوله: ﴿عَصَىٰ إِسْمَاعِيلُ﴾ أي: غضبان شديد الغضب.

كذلك، من إطلاق الأسف على الغضب في القرآن قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اُنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزحرف: ٥٥]؛ أي: فلما أغضبونا سادهم في الكفر مع توالي الآيات عليهم انتقمنا منهم.

[٥٥٥] قوله تعالى: ﴿اَفْطَالٌ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ [طه: ٨٦].

الاستفهام فيه للإنكار؛ يعني: لم يطل العهد؛ لأن طول العهد مظنة النسيان؛ والعهد قريب لم يطل فكيف نسيتم؟

[٥٥٦] قوله تعالى: ﴿اَمْ اُرَدْتُمْ اَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ عَصَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾

[طه: ٨٦].

قال بعض العلماء: «أم» هنا هي المنقطعة، والمعنى: بل أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم. ومعنى إرادتهم حلول الغضب: أنهم فعلوا ما يستوجب غضب ربهم بإرادتهم. فكأنهم أرادوا الغضب لما أرادوا سببه، وهو الكفر بعبادة العجل.

[٥٥٧] قوله تعالى: ﴿فَاَحْلَفْتُمْ مَّوْعِدِي﴾ [طه: ٨٦].

كانوا وعدوه أن يتبعوه لما تقدمهم إلى الميقات، وأن يثبتوا على طاعة الله تعالى، فعبدوا العجل وعكفوا عليه ولم يتبعوا موسى.

[٥٥٨] كل فعل مضارع في القرآن مجزوم بـ«لم» إذا تقدمتها همزة

استفهام؛ كقوله هنا:

﴿اَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦].

فيه وجهان معروفان عند العلماء:

الأول: أن مضارعة تنقلب ماضوية، ونفيه ينقلب إثباتاً. فيصير

قوله: ﴿اَلَمْ يَعِدْكُمْ﴾ بمعنى: وعدكم، وقوله: ﴿اَلَمْ تَشْرَحْ﴾ بمعنى: شرحنا.

الوجه الثاني: أن الاستفهام في ذلك التقرير، وهو حمل المخاطب على أن يقر فيقول «بلى» وعليه فالمراد من قوله: ﴿الْمَ يَعِزُّكُمْ رَبُّكُمْ وَيُعِزُّكُمْ وَغَدًا حَسْبًا﴾ حملهم على أن يقرؤا بذلك فيقولوا بلى هكذا. ونظير هذا من كلام العرب قول جرير:

أستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح

٥٥٩ قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ [طه: ٨٧].

ما أخلفنا موعداً بأن ملكنا أمرنا، فلو ملكنا أمرنا ما أخلفنا موعداً. اعتذار منهم بأنهم ما أخلفوا الموعد باختيارهم، ولكنهم مغلوبون على أمرهم من جهة السامري وكيدته، وهو اعتذار بارد.

٥٦٠ قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ رِيَّةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٧، ٨٨].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» عن الحسن البصري: وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة: أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل، فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير.

٥٦١ قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ رِيَّةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٧ - ٨٨].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي: مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأما الرقص، والتواجد: فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً

جسداً له خوار، قاموا يرقصون حواليه، ويتواجدون. فمن كان عمله مخالفاً للشرع كمتصوفة آخر الزمان فهو الضال، ومن كان عمله موافقاً لما جاء به نبينا ﷺ فهو المهتدي؛ نرجو الله تعالى أن يهدينا وإخواننا المؤمنين.

٥٦٢ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩].

قال الفخر الرازي: وليس المقصود من هذا أن العجل لو كان يكلمهم لكان إلهاً؛ لأن الشيء يجوز أن يكون مشروطاً بشروط كثيرة، ففوات واحد منها يقتضي فوات المشروط، ولكن حصول الواحد فيها لا يقتضي حصول المشروط.

٥٦٣ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩].

كيف عبدوا ما لا يقدر على رد الجواب لمن سألته، ولا يملك نفعاً لمن عبده ولا ضرراً لمن عصاه.

٥٦٤ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢ - ٩٣].

قال بعض أهل العلم: «لا» في قوله: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ زائدة للتوكيد، والذي يظهر أن زيادة لفظة «لا» لتوكيد الكلام وتقويته أسلوب من أساليب اللغة:

تذكرت ليلي فاعترتني صباية وكاد صميم القلب لا يتقطع
يعني: كاد يتقطع.

٥٦٥ الأمر المطلق يقتضي الوجوب على التحقيق كما تقرر في الأصول، قال عليه السلام عن نبيه موسى في خطابه لأخيه: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٣] فأطلق اسم المعصية على مخالفة الأمر.

٥٦٦ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَومَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤]. وهذه الآية فيها الدلالة على أن الخبر ليس كالعيان.

٥٦٧ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَومَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤]. إنما قال هارون لأخيه: ﴿يَبْنَومَ﴾؛ لأن قرابة الأم أشد عطفاً وحناناً من قرابة الأب.

٥٦٨ قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَومَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: ٩٤]. هذه الآية الكريمة بضميمة آية «الأنعام» إليها تدل على لزوم إعفاء اللحية، فهي دليل قرآني على إعفاء اللحية وعدم حلقها. وآية الأنعام المذكورة هي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ الآية [الأنعام: ٨٤]. ثم إنه تعالى قال بعد أن عد الأنبياء الكرام المذكورين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَتْهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فدل ذلك على أن هارون من الأنبياء الذين أمر نبياً عليه السلام بالافتداء بهم، وأمره عليه السلام بذلك أمر لنا؛ لأن أمر القدوة أمر لاتباعه. إعفاء اللحية من السمات الذي أمرنا به في القرآن العظيم، وأنه كان سمت الرسل الكرام عليهم السلام.

٥٦٩ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

الإله: أي: المعبود بحق عليه السلام الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ أي: لا معبود بالحق إلا هو وحده عليه السلام.

٥٧٠ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩].

«من» للتبعية، ويفهم من ذلك أن بعضهم لم يقصص عليه خبره، ويدل لهذا المفهوم قوله ﷺ: ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

٥٧١ قوله تعالى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة: ثم في تسمية القرآن بالذكر وجوه:

أحدها: أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم.

وثانيها: أنه يذكر أنواع آلاء الله ونعمائه تعالى. ففيه التذكير، والمواعظ.

وثالثها: أنه فيه الذكر، والشرف لك ولقومك على ما قال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الرُحُوف: ٤٤].

٥٧٢ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ [طه: ١٠٠].

المراد بذلك: الوزر المحمول أثقال ذنوبهم وكفرهم يأتون يوم القيامة يحملونه.

٥٧٣ قال القرطبي عن تفسير هذه الآية بما نصه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥].

أي: عن حال الجبال يوم القيامة، فقل.

جاء هنا بفاء، وكل سؤال في القرآن «قل» بغير فاء إلا هذا؛

لأن المعنى: إن سألوكم عن الجبال فقل، فتضمن الكلام معنى

الشرط، وقد علم الله أنهم يسألونه عنها فأجابهم قبل السؤال. وتلك أسئلة تقدمت، سألوا عنها النبي ﷺ فجاء الجواب عقب السؤال. فلذلك كان بغير فاء. وهذا سؤال لم يسأله عنه بعد فتفهمه انتهى منه. وما ذكره يحتاج إلى دليل، والعلم عند الله تعالى.

٥٧٤ قوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦].

القاع: المستوي من الأرض، وقيل: مستنقع الماء، والصفصف: المستوي الأملس الذي لا نبات فيه، ولا بناء، فإنه على صف واحد في استوائه.

٥٧٥ قوله تعالى: ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧].

أي: لا اعوجاج فيها، ولا أمت، والأمت: التواء السير؛ أي: ليس فيها اعوجاج، ولا ارتفاع بعضها على بعض؛ بل هي مستوية.

٥٧٦ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨].

﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾؛ أي: لا يحيدون عنه، ولا يميلون يميناً، ولا شمالاً.

٥٧٧ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨].

قال بعض أهل العلم: هو ملك يناديهم.. أيتها العظام النخرة، والأوصال المتفرقة، واللحوم المتمزقة، قومي إلى ربك للحساب.

٥٧٨ قوله تعالى: ﴿وَحُشَّتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ إِلَّا هُمْ﴾

[طه: ١٠٨].

خففت، وخفتت، وسكنت هيبة الله، وإجلالاً وخوفاً؛ لا تسمع إلا همساً: صوتاً خفياً خافتاً من شدة الخوف.

٥٧٩ قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

عنت؛ أي: ذلت وخضعت.

ومنه قول أمية:

ملك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد
وظاهر القرآن يدل أن المراد الذل والخضوع لله يوم القيامة،
وكل الخلائق تظهر عليهم في ذلك اليوم علامات الذل، والخضوع لله تعالى.

٥٨٠ قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

أي: خسر من حمل شركاً، وتدل لهذا القول الآيات القرآنية الدالة على تسمية الشرك ظلماً؛ كقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٥٨١ قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

الحي: المتصف بالحياة الذي لا يموت أبداً. القيوم: القائم بتدبير شؤون جميع الخلق وهو القائم على كل نفس بما كسبت.

٥٨٢ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَحَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

الظلم: المنع من الحق كله، والهضم: النقص والمنع من بعض الحق، فكل هضم ظلم، ولا ينعكس.

٥٨٣ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْلَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤].

نهاه عن العجلة بقراءة القرآن مع جبريل؛ بل أمره أن ينصت لقراءة جبريل حتى ينتهي، ثم يقرؤه هو بعد ذلك.

٥٨٤ العذر بالنسيان والخطأ والإكراه من خصائص هذه الأمة، لذلك أسند إلى آدم النسيان، والعصيان ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ﴾ [طه: ١١٥]، ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

٥٨٥ قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَىٰ﴾ [طه: ١١٧]. قال القرطبي: وإنما خصه بذكر الشقاء ولم يقل فتشقىا يعلمنا أن نفقة الزوجة على الزوج.

٥٨٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]. ﴿وَلَا تَصْحَىٰ﴾؛ أي: لا تصير بارزاً للشمس، ليس لك ما تستكن فيه من حرها.

٥٨٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨ - ١١٩]. احذر من عدوك أن يخرجك من دار الراحة التي يضمن لك فيها الشبع، والري، والكسوة، والسكن.

٥٨٨ قال القرطبي: النفقة التي تجب للمرأة على زوجها: الطعام، والشراب، والكسوة، والمسكن ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾، أنك لا تظمأ فيها ولا تصحى﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

٥٨٩ قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَحُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىَ﴾ (طه: ١١٨ - ١١٩). وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ

والظاهر: أن الذي في هذه الآية الكريمة من البديع المعنوي في اصطلاح البلاغيين، هو ما يسمى «مراعاة النظير»، ويسمى «التناسب، والاتلاف». والتوفيق، والتلفيق» فهذه كلها أسماء لهذا النوع من البديع المعنوي. وضابطه: أنه جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد؛ كقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]؛ فَإِنَّ الشَّمْسَ، والقمر متناسبان.

وإذا علمت هذا فاعلم أنه ﷺ ناسب في هذه الآية الكريمة في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَحُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىَ﴾ بين نفي الجوع المتضمن لنفي الحرارة الباطنية، والألم الباطني الوجداني، وبين نفي العري المتضمن لنفي الألم الظاهري من أذى الحر، والبرد، وهي مناسبة لا بالتضاد. كما أنه تعالى ناسب في قوله: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾ بين نفي الظمأ المتضمن لنفي الألم الباطني الوجداني الذي يسببه الظمأ. وبين نفي الضحى المتضمن لنفي الألم الظاهري الذي يسببه حر الشمس ونحوه كما هو واضح.

٥٩٠ قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ (طه: ١٢٠).

أي: كلّمه كلاماً خفياً فسمعه منه آدم وفهمه.

٥٩١ قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ (طه: ١٢٠).

الوسوسة، والوسواس: الصوت الخفي ويقال: لهمس الصائد، والكلاب، وصوت الحلي: وسواس؛ كقول الأعشى:
«تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت»

٥٩٢ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠].

تعيين الشجرة التي نهى الله آدم عن الأكل منها لا طائل تحته، لعدم الدليل على تعيينها، وعدم الفائدة في معرفة عينها.

٥٩٣ قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فِدَتْ لَهُمَا سَوْءَ نُهُمَا﴾ [طه: ١٢٠].

فدت سوءاتهما؛ أي: عوراتهما، وسميت العورة سوءة؛ لأن انكشافها يسوء صاحبها.

٥٩٤ لا شك أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه إن وقع

منهم بعض الشيء فإنهم يتداركونه بصدق الإنابة إلى الله حتى يبلغوا بذلك درجة أعلا من درجة من لم يقع منه ذلك، كما قال هنا: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢].

٥٩٥ قوله تعالى: ﴿وَوُطِّقَا بِمِصْفَافٍ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١].

شرعا يلزقان عليهما من ورق الجنة بعضه ببعض ليسترا به عوراتهما.

٥٩٦ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَحْنَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢].

الاجتباء: الاصطفاء، والاختيار؛ أي: ثم بعد ما صدر من آدم بمهلة اصطفاه ربه واختاره فتاب عليه وهداه إلى ما يرضيه.

٥٩٧ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا

يُضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

لا يضل في الدنيا؛ أي: لا يزيغ عن طريق الحق لاستمساكه بالعروة الوثقى، ولا يشقى في الآخرة.

٥٩٨ ولم يضمن الله لأحد ألا يكون ضالاً في الدنيا ولا شقياً في الآخرة إلا لمتبعي الوحي وحده ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّكُمْ مَنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

٥٩٩ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤].

تكون معيشته ضنكاً في الدنيا، والبرزخ، والآخرة، والعياذ بالله تعالى.

٦٠٠ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤].

أي: عيشاً ضيقاً، والضنك في اللغة: الضيق، ومنه قول عنترة:

المنية لو تمثل مثلت مثلي إذا نزلوا بطنك المنزل

٦٠١ قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

٦٠٢ أي: أعمى البصر، والقرينة المذكورة قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا﴾ [طه: ١٢٥] فصرح بأن عماه هو العمى المقابل للبصر.

٦٠٣ العرب تطلق النسيان وتريد به الترك ولو عمداً، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٦] فالمراد في هذه الآية: الترك قصداً.

٦٠٤ وعد بالرزق من يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها، وذلك

في قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَقَةُ لِلْإِقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

٣٦٥ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [طه: ١٣٣].

وإنما عبّر عن هذا القرآن بأنه بينة ما في الصحف الأولى؛ لأنه برهان قاطع على صحة جميع الكتب المنزلة من الله ﷻ.

٣٦٦ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [طه: ١٣٣].

وهي هذا القرآن العظيم؛ لأنه آية هي أعظم الآيات وأدليها على الإعجاز.

٣٦٧ قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَبِّصٍ فَتَرَصُّوْا﴾ [طه: ١٣٥].

كل منا ومنكم متربص؛ أي: منتظر ما يحل بالآخر من الدوائر؛ كالموت، والغلبة.

٣٦٨ قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ

أَهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥].

وهذا يظهر لهم يوم القيامة إذا عاينوا الحقيقة، ويظهر لهم في الدنيا لما يرونه من نصر الله لنبيه ﷺ.

٣٦٩ قوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ

أَهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥].

سيتضح لكم أنا مهتدون؛ وأنا على صراط مستقيم؛ وأنكم على ضلال وباطل.

﴿٦١٠﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [طه: ١٣٥].

الصراط: الطريق الواضح، والسوي: المستقيم، وهو الذي لا اعوجاج فيه.



سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

٦١١ قوله تعالى: ﴿وَمَا حَعَلْنَا لِإِشْرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

قوله: ﴿إِشْرٍ﴾ نكرة في سياق النفي فهي تعم كل بشر، فيلزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبله.

٦١٢ الدليل أن الخضر ليس بحي بل توفي . . ظاهر عموم قوله تعالى: ﴿وَمَا حَعَلْنَا لِإِشْرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

٦١٣ قوله تعالى: ﴿حُلِقَ الْإِيسَرُ مِنْ عَحْلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

العجلة التي هي خلاف التأني، والتثبت، والعرب تقول: خلق من كذا، يعنون بذلك: المبالغة في الإتيان؛ كقولهم: خلق فلان من كرم.

٦١٤ قوله تعالى: ﴿قَدْ مَنَّ بِالَّذِي يَكْفُلُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

﴿مَنَّ بِالَّذِي يَكْفُلُكُمْ﴾ أي: من هو الذي يحفظكم ويحرسكم بالليل في حال نومكم والنهار في حال تصرفكم في أموركم.

٦١٥ قوله تعالى: ﴿قَدْ إِنَّمَا أَنذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

حصر الإنذار في الوحي دون غيره.

٦١٦ قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّارِكٌ أَرْلَنَّهُ﴾ [الاساء: ٥٠].

هذا القرآن العظيم ﴿ذِكْرٌ مُّارِكٌ﴾ ؛ أي: كثير البركات والخيرات ؛ لأن فيه خير الدنيا والآخرة.

٦١٧ جرت العادة بأن المبطل إذا أفحم بالدليل لجأ إلى ما عنده من القوة ليستعملها ضد الحق ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَاصْرُؤْا إِلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّعَلِّينَ﴾ [الأنباء: ٦٨].

٦١٨ قوله تعالى: ﴿قُلْنَا بَشَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الاساء: ٦٩].
عن علي وابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل: ﴿وَسَلَامًا﴾ لمات إبراهيم من بردها.

٦١٩ قوله تعالى: ﴿شَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنباء: ٧١].
هو ما جعل فيها من الخصب، والأشجار، والأنهار، والثمار.
ومن ذلك أنه بعث أكثر الأنبياء منها.

٦٢٠ قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي شَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنباء: ٧١].

هذه الآية الكريمة تشير إلى هجرة إبراهيم ومعه لوط من أرض العراق إلى الشام فراراً بدينهما.

٦٢١ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنباء: ٧٢].

قال ابن عباس، وقتادة: النافلة: ولد الولد؛ يعني: أن يعقوب ولد إسحاق.

[٦٢٢] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤].

أصل الحكم في اللغة: المنع؛ فمعنى الآيات: أن الله آتاه من النبوة والعلم ما يمنع أقواله وأفعاله من أن يعتريها الخلل.

[٦٢٣] قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤].

القرطبي: الحكم: النبوة. والعلم: المعرفة بأمر الدين، وما يقع به الحكم بين الخصوم.

[٦٢٤] قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[الأنبياء: ٧٥].

وأدخلناه؛ يعني: لوطاً ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ شامل لنجاته من عذابهم الذي أصابهم، وشامل لإدخاله إياه في رحمته التي هي الجنة.

[٦٢٥] قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنُ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

[الأنبياء: ٧٩].

قال عليه السلام: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر».

[٦٢٦] قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنُ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

[الأنبياء: ٧٩].

ولولا ما ذكره الله من أمر داود وسليمان عليهما السلام لرأيت أن القضاة هلكوا فإنه أتى على سليمان عليه السلام بعلمه، وعذر داود عليه السلام باجتهاده الحسن.

[٦٢٧] قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنُ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾

[الأنبياء: ٧٩].

﴿فَفَهَّمَهَا سُلَيْمَنَ﴾ قرينة على أن الحكم لم يكن بوحي بل باجتهاد وأصاب فيه سليمان دون داود بتفهم الله إياه ذلك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « كانت امرأتان معهما ابناهما ، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك . فقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك . فتحاكما إلى داود عليه السلام ، ف قضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام ، فأخبرتا ، فقال : اتتوني بالسكين أشقه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها . ف قضى به للصغرى . [رواه الحارثي] .

٦٢٨ قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَنَّهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

المراد بصناعة اللبوس : صناعة الدروع ونسجها ؛ والدليل : أن المراد باللبوس في الآية الدروع أنه أتبعه بقوله : ﴿لِنُخَصِّصَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

٦٢٩ قوله تعالى : ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

الظاهر فيه : أن صيغة الاستفهام هنا يراد بها الأمر ، ومن إطلاق الاستفهام بمعنى الأمر في القرآن قوله : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة : ٩١] ؛ أي : انتهوا .

٦٣٠ قوله تعالى : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

شكر العبد لربه : هو أن يستعين بنعمه على طاعته ، وشكر الرب لعبده : هو أن يشبه الثواب الجزيل من عمله القليل .

٦٣١ قوله تعالى : ﴿تَخْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء : ٨١] .

لأن مسكنه فيها وهي الشام ، فترده إليه .

٦٢٢ قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

جزعاً؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّا وَحَدَّثُهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]؛ بل كان ذلك دعاء منه، والجزع في الشكوى إلى الخلق لا إلى الله ﷻ، والدعاء لا ينافي الرضا.

٦٢٣ قوله تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

مع قوله: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٣] فيه دلالة على أن أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال هم الذين يعبدون الله وحده ويطيعونه.

٦٢٤ قوله تعالى: ﴿وَدَا الْثُورَ إِذْ دَهَبَ مُعَصِّصًا فَظَنَّ أَلَّا يَخْلُفَ نَقِيرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿لَّا يَخْلُفَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن تضيق عليه في بطن الحوت.

٦٢٥ قوله تعالى: ﴿وَدَا الْثُورَ إِذْ دَهَبَ مُعَصِّصًا﴾ [الأنبياء: ٨٧].

مغاضباً قومه من أجل ربه؛ أي: من أجل كفرهم به وعصيانهم له.

٦٢٦ قوله تعالى: ﴿فَكَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

أي: ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت.

٦٢٧ قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَحْنَا لَهُ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

أجبناه ونحيناها من الغم، وإطلاق «استجاب» بمعنى: أجاب معروف منه قول الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

٦٣٨ نادى يونس في تلك الظلمات هذا النداء العظيم فاستجاب له الله ﷻ ونجاه من الغم ﴿فَكَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ۖ فَسَبَّحْتَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

٦٣٩ قوله تعالى: ﴿إِنْ هَدَىٰ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].
المراد بالأمة: الشريعة والملة، والمعنى: وأن هذه شريعتكم شريعة واحدة، وهي توحيد الله على الوجه الأكمل من جميع الجهات.

٦٤٠ قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩٣].
أي: تفرقوا في الدين وكانوا شيعاً؛ فمنهم يهودي، ومنهم نصراني، ومنهم عابد وثن إلى غير ذلك من الفرق المختلفة.

٦٤١ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَٰثُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

عبر الله فيها بلفظة «ما» التي هي لغير العقلاء، المراد: الأصنام، وأنه لا يتناول عيسى ولا عزيزاً ولا الملائكة.

٦٤٢ قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

أهل النار لهم فيها زفير والعياذ بالله تعالى، وأظهر الأقوال في الزفير أنه كأول صوت الحمار، وأن الشهيق كآخره.

٦٤٣ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

﴿التَّحِيلَ﴾: الصحيفة، والمراد بالكتب: ما كتب فيها؛ أي: كطي الصحيفة على ما كتب فيها.

٦٤٤ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿الزَّبُورُ﴾ الذي هو الكتاب يراد به جنس الكتاب فيشمل الكتب المنزلة؛ كالطورا، والإنجيل، وزبور داود، وغير ذلك.

٦٤٥ قوله تعالى: ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].
فيه وجهان:

- أنها أرض الجنة يورثها الله يوم القيامة عباده الصالحين.

- أن المراد بالأرض أرض العدو يورثها الله للمؤمنين.

٦٤٦ قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي هَذَا لَلنَّاسِ لِقَوْمٌ عَنِيدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

الإشارة في قوله: ﴿هَذَا﴾ للقرآن العظيم الذي منه هذه السورة الكريمة، والبلاغ: الكفاية وما تبلغ به البغية.

٦٤٧ قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي هَذَا لَلنَّاسِ لِقَوْمٌ عَنِيدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٦].

وخص القوم العابدين بذلك لأنهم هم المنتفعون به.

٦٤٨ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

﴿إِنَّمَا﴾ من صيغ الحصر، فكان جميع ما أوحى إليه منحصر في معنى، (لا إله إلا الله).

٦٤٩ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَادِثُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [البقرة: ١٠٩].

قوله: ﴿ءَادِثُكُمْ﴾ الأذان: الإعلام. ومنه الأذان للصلاة وقوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ بَيْنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٣] أي: إعلام منه.

٦٥٠ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَادِثُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿فَقُلْ ءَادِثُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: أعلمتكم اني حرب لكم كما أنكم حرب لي، بريء منكم كما أنتم براء مني.



سُورَةُ الْحَجِّ

٦٥١ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ [الحج: ٢].

ف قيل: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾؛ فيدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها: نزعتة عن فيه؛ لما يلحقها من الدهشة.

٦٥٢ إن قلت: هي مرضع، تريد أنها ذات رضاع وإن قلت: هي مرضعة بمعنى: أنها تفعل الرضاع؛ أي: تلقم الولد الثدي ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢].

٦٥٣ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُحْدِثُ فِي اللَّهِ بَغْيًا عَمِلُوا﴾ [الحج: ٣].

نازلة في الأتباع الجهلة الذين يجادلون بغير علم، اتباعاً لرؤسائهم ويدل لهذا قوله ﷺ: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

٦٥٤ قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

والمريد: العاتي؛ الشيطان في هذه الآية، يشمل كل عات يدعو إلى عذاب السعير ويضل عن الهدى، سواء كان من شياطين الجن أو الإنس.

٦٥٥ قوله تعالى: ﴿وَنَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤].

يدل على أن الهدى كما أنه يستعمل في الإرشاد والدلالة على الخير، يستعمل أيضاً في الدلالة على الشر.

٦٥٦ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ اللَّعْنِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

فمن أوجدكم الإيجاد الأول، وخلقكم من التراب قادر على إيجادكم، وخلقكم مرة ثانية.

٦٥٧ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥].

النطفة في اللغة: الماء القليل والنطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة خلافاً لمن زعم أنها من ماء الرجل وحده.

٦٥٨ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

خلق أباهم آدم منها، فلما كان أصلهم الأول من تراب، أطلق عليهم أنه خلقهم من تراب؛ لأن الفروع تبع للأصل.

٦٥٩ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥].

إذا مجت الرحم النطفة في طورها الأول قبل أن تكون علقة، فلا يترتب على ذلك حكم من أحكام إسقاط الحمل، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

٦٦٠ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

أي: قطعة دم جامدة، ومن إطلاق العلق على الدم المذكور قول زهير:

إليك أعملتها فتلا مرافقها شهرين يجهض من أرحامها العلق

[٦٦١] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ عَقَقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

إذا سقطت الطفلة في طورها الثاني؛ أي: علقه فلا خلاف بين العلماء في أن تلك العلقه لا يصلى عليها، ولا تغسل، ولا تكفن، ولا تورث.

[٦٦٢] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُخْفَةٍ وَعَبْرٍ مُخْتَفَةٍ﴾ [الحج: ٥].

﴿مُخْتَفَةٍ﴾ تامة، ﴿وَعَبْرٍ مُخْتَفَةٍ﴾ غير تامة والمراد: منها ما هو كامل الخلقة، سالم من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك.

[٦٦٣] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ﴾ [الحج: ٥].

المضغة: وهي القطعة الصغيرة من اللحم، على قدر ما يمضغه الآكل ومنه قوله ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله».

[٦٦٤] قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَبِّئُكُمْ﴾ [الحج: ٥].

أي: لنبين لكم بهذا النقل من طور إلى طور، كمال قدرتنا على البعث بعد الموت، وعلى كل شيء.

[٦٦٥] قوله تعالى: ﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ مُسَمًّى﴾

[الحج: ٥].

أي: نقر في أرحام الأمهات ما نشاء إقراره فيها من الأحمال والأجنة ﴿إِنَّ أَجَلَ مُسَمًّى﴾؛ أي: معلوم معين في علمنا.

٦٦٦ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

لماذا أفرد ﴿طِفْلًا﴾؟ لأن من أساليب اللغة العربية أن المفرد إذا كان اسم جنس يكثر إطلاقه مراداً به الجمع مع تنكيره.

٦٦٧ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج: ٨].

يدخل فيها: أهل البدع والضلال، يتركون ما أنزل الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤساء الضلالة.

٦٦٨ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج: ٨].

مفهوم مخالفتها: أنه من يجادل بعلم على ضوء هدى كتاب منير، كهذا القرآن العظيم - أن ذلك سائع محمود.

٦٦٩ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى

وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٨، ٩].

وهذه الآية في الرؤساء الدعاة إلى الضلال المتبوعين في ذلك.

٦٧٠ تبين من قوله تعالى: ﴿ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[الحج: ٩] أنه مضل لغيره، متبوع في الكفر والضلال.

٦٧١ قوله تعالى: ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ [الحج: ٩].

أي: ذل وإهانة وقد أذل الله الذين جادلوا في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ كأبي جهل، والنضر بن الحارث بالقتل يوم بدر.

٦٧٢ قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ١٩].

يخاصم بالباطل في حال كونه ثاني عطفه؛ أي: لاوي عنه عن قبول الحق استكباراً وإعراضاً.

٦٧٣ قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج: ١٢].

أي: يدعو ما لا يضره إن ترك عبادته وكفر به، وما لا ينفعه إن عبده وزعم أنه يشفع له.

٦٧٤ قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣].

فإن قيل: ما وجه الجمع بين نفيه تعالى النفع والضرر معاً عن ذلك المعبود من دون الله في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [الحج: ١٢] مع إثباتهما في قوله: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣]؛ لأن صيغة التفضيل في قوله: ﴿أَقْرَبُ﴾ دلت على أن هناك نفعاً وضرراً، ولكن الضر أقرب من النفع.

أجاب أبو حيان في «البحر» وحاصله: أن الآية الأولى في الذين يعبدون الأصنام؛ فالأصنام لا تنفع من عبدها، ولا تضر من كفر بها؛ ولذا قال فيها: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [الحج: ١٢] والقرينة على أن المراد بذلك الأصنام، هي التعبير بلفظة «ما» في قوله: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [الحج: ١٢]؛ لأن لفظة «ما» تأتي لما لا يعقل، والأصنام لا تعقل.

أما الآية الأخرى فهي في من عبد بعض الطغاة المعبودين من دون الله؛ كفرعون القائل:

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [المصر: ١٣٨]، ﴿لَيْسَ أَتَحَدِّثُ

إِلَيْهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿الشعراء: ٢٩﴾، ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾
[البرقيات ٢٤]، فإن فرعون ونحوه من الطغاة المعبودين قد يغدقون
نعم الدنيا على عابديهم؛ ولذا قال له القوم الذين كانوا سحرة:
﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرِينَ﴾
[الشعراء: ٤١، ٤٢] فهذا النفع الدنيوي بالنسبة إلى ما سيلاقونه من
العذاب والخلود في النار كلا شيء، فضر هذا المعبود بخلود عابده
في النار أقرب من نفعه بعرض قليل زائل من حطام الدنيا، والقرينة
على أن المعبود في هذه الآية الأخيرة بعض الطغاة الذين هم من
جنس العقلاء هي التعبير بـ"من" التي تأتي لمن يعقل في قوله:
﴿يَدْعُوا لِمَنْ صَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣] هذا هو خلاصة جواب
أبي حيان، وله اتجاه، والله تعالى أعلم.

٦٧٥ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣].

والتحقيق: أن المراد بالمولى والعشير المذموم في هذه الآية
الكريمة، هو المعبود الذي كانوا يدعونه من دون الله.

٦٧٦ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣].

﴿الْمَوْلَىٰ﴾: هو كل ما انعقد بينك وبينه سبب، يواليك وتواليه
به؛ والعشير: هو المعاشر، وهو الصاحب والخليل.

٦٧٧ قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥].

أي: بحبل إلى السماء؛ أي: سماء بيته والمراد به السقف؛
لأن العرب تسمي كل ما علاك سماء كقولهم: وقد يسمي سماء كل
مرتفع.

[٦٧٨] قوله تعالى: ﴿يُصْطَفَىٰ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (الحج: ١٩، ٢٠).
 يو، مَا فِي بَطُونِهِمْ وَلِجُلُودِهِمْ

الْحَمِيمُ: الماء البالغ شدة الحرارة، يذيب جلودهم، كما يذيب ما في بطونهم لشدة حرارته.

[٦٧٩] قوله تعالى: ﴿يَهْدِي خُضْرٍ اخْضَصُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ (الحج: ١٩).

نزلت في المبارزين يوم بدر وهم: حمزة وعلي وعبيدة، وفي أقربائهم المبارزين من الكفار وهم: عتبة وابنه الوليد وأخوه شيبة.

[٦٨٠] قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ عَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (الحج: ٢٢).

لهب النار يرفعهم حتى يكاد يرميهم خارجها فتضربهم خزنة النار بمقامع الحديد فتردهم في قعرها. نعوذ بالله من النار، ومن كل ما يقرب إليها من قول وعمل.

[٦٨١] قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ أَلْغَكُفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ (الحج: ٢٥).

﴿أَلْغَكُفُ﴾: هو المقيم في الحرم والباد: الطارئ عليه من البادية. وكذلك غيرها من أقطار الدنيا.

[٦٨٢] قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ بَرْدَ فِيهِ بِالْحَكَادِ﴾ (الحج: ٢٥).

العزم المصمم على ارتكاب الذنب فيه، والعزم المصمم على الدلت ذنب يعاقب عليه في جميع بقاع الله؛ مكة وغيرها. مثال المعاقبة على العزم المصمم على ارتكاب المحظور فيه، ما وقع بأصحاب البعل من الإهلاك المستاصل لعزمهم على ارتكاب المناكر في الحرم.

٦٨٢ السَّيِّئَةُ قَدْ تَعْظِمُ فَيَعْظِمُ جَزَاؤُهَا بِسَبَبِ حَرَمَةِ الْمَكَانِ ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].
أو حرمة الزمان ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

٦٨٤ قوله تعالى: ﴿مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].
يدل على أن له مكاناً سابقاً، كان معروفاً. والله أعلم.

٦٨٥ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].
أي: هيأناه له، وعرفناه إياه، ليبينه بأمرنا على قواعده الأصلية
المندرسة، حين أمرنا ببنائه.

٦٨٦ قال بعض أهل العلم: الطواف أفضل من صلاة النافلة في مكة واستدلوا بأن الله ﷻ قدم الطواف على الصلاة: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

٦٨٧ قوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦].
والتطهير هنا: يشمل التطهير المعنوي والحسي فيطهره الطهارة الحسية من الأقدار، والمعنوية من الشرك والمعاصي.

٦٨٨ قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧].
رجالاً: جمع: راجل، وهو الماشي على رجله والضامر: البعير ونحوه.

وقال ابن كثير: والذي عليه الأكثر أن الحج راكباً أفضل اقتداء بالنبي ﷺ فإنه حج راكباً مع كمال قوته.

٦٨٩ قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

الأذان لغة: الإعلام، ومنه قوله **﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾** [التوبة: ٣].

وقول الشاعر:

أذنتنا ببينها أسماء رب ثاوي مل منه الشواء

٦٩٠ قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

والفج: الطريق، وجمعه: فجاج. ومنه قوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾** [الأنبياء: ٣١] والعميق: البعيد.

٦٩١ قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

ذكر المفسرون أنه لما أمره ربه أن يؤذن في الناس بالحج قال: يا رب، كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم، فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه. وقيل: على الحجر. وقيل: على الصفا. وقيل: على أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه، فيقال: إن الجبال تواضعت، حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة: ليك اللهم ليك.

٦٩٢ قوله تعالى: ﴿وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

﴿الْعَتِيقِ﴾: القديم؛ لأنه أقدم مواضع التعبد، ويدل عليه قوله تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾** [آل عمران: ٩٦].

٦٩٣ قوله تعالى: ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

دلّت هذه الآية أيضاً على لزوم الطواف من وراء الحجر الذي عليه الجدار القصير شمال البيت؛ لأن أصله من البيت.

٦٩٤ قوله تعالى: ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

دلّت هذه الآية الكريمة، على لزوم طواف الإفاضة وأنه لا صحة للحج بدونه.

٦٩٥ قوله تعالى: ﴿وَنَشَرِ الْمُخْتَبِينَ﴾ ٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥].

﴿الْمُخْتَبِينَ﴾: المتواضعين لله المطمئنين، الذين من صفتهم: أنهم إذا سمعوا ذكر الله، وجلت قلوبهم؛ أي: خافت من الله.

٦٩٦ قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦].

فيدخل في الآية تعظيم البدن؛ روى البخاري: أنهم كانوا يسمنون الأضاحي، وكانوا يرون أن ذلك من تعظيم شعائر الله.

٦٩٧ قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعُمُوا الْقَاعِ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦].

﴿الْقَاعِ﴾: هو الطامع الذي يسأل أن يعطى من اللحم، و﴿الْمُعْتَرَّ﴾: هو الذي يعتري متعرضاً للإعطاء من غير سؤال وطلب.

٦٩٨ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج: ٣٦].

جعلناها منقادة لكم تفعلون بها ما شئتم من نحر وركوب، وحلب وغير ذلك ولولا أن الله ذللها لكم لم تقدروا عليها.

[٣٦٩٩] الذين لا يقيمون الصلاة، ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر، ﴿وَالَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿[الحج: ٤١].

[٣٧٠٠] قوله تعالى: ﴿كَيفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ [الحج: ٤٤].

أي: كيف كان إنكاري عليهم منكرهم، الذي هو كفرهم بي، وتكذيبهم رسلي، وهو ذلك العذاب المستأصل الذي بينا وبعده عذاب الآخرة.

[٣٧٠١] قوله تعالى: ﴿فَكَأَيُّ مَرْقَبَةٍ أَهَنْكُنَّهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهِ حَاقِبَةٌ عَلَى غُرُوشِهَا وَيَبْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

بيّن تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أهلك كثيراً من القرى في حال كونها ﴿ظَالِمَةٌ﴾؛ أي: بسبب ذلك الظلم، وهو الكفر بالله وتكذيب رسله، فصارت بسبب الإهلاك والتدمير ديارها متهدمة وآبارها معطلة، لا يسقى منها شيء لإهلاك أهلها الذين كانوا يستقون منها.

[٣٧٠٢] قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُوتٌ يَقْقَرُوا بِهَا﴾ [الحج: ٤٦].

الآية تدل على أن محل العقل: في القلب، فما يزعمه الفلاسفة من أن محل العقل الدماغ باطل.

[٣٧٠٣] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا فَنَنْجِيَنَّ الْمُعْجِرِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحُجَّةِ﴾ [الحج: ٥١].

عن الزجاج ﴿مُعْجِرِينَ﴾ ؛ أي : طائفتين منهم يعجزوننا ؛ لأنهم ظنوا ألا بعث ، وأن الله لا يقدر عليهم .

﴿٧٠٤﴾ قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ [الحج : ٥٢] .

﴿تَمَنَّى﴾ ؛ بمعنى : قرأ وتلا ، ومنه قول حسان في عثمان :
تمنى كتاب الله أول ليلة وأخرها لاقى حمام المقادر

﴿٧٠٥﴾ قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج : ٥٢] .

يدل على أن كلاً منهما مرسل ، وأنهما مع ذلك بينهما تباين واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته ، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول ، هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحى إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله ؛ كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة .

﴿٧٠٦﴾ قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج : ٥٢] .

فالذي يظهر لنا أنه الصواب ، وأن القرآن يدل عليه دلالة واضحة ، وإن لم ينتبه له من تكلم على الآية من المفسرين : هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ : الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها ؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر ، أو أساطير الأولين ، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده .

والدليل على هذا المعنى: أن الله بيّن أن الحكمة في الإلقاء المذكور امتحان الخلق؛ لأنه قال: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣] ثم قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤] فقولُه: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الآية، يدل على أن الشيطان يلقي عليهم، أن الذي يقرؤه النبي ﷺ ليس بحق فيصدقه الأشقياء، ويكون ذلك فتنة لهم، ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم، ويعلمون أنه الحق لا الكذب؛ كما يزعم لهم الشيطان في إلقائه: فهذا الامتحان لا يناسب شيئاً زاده الشيطان من نفسه في القراءة، والعلم عند الله تعالى.

[٧٠٧] قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤].

تخبت له قلوبهم: تخشع وتخضع وتطمئن، واعلم أن مرض القلب في القرآن يطلق على نوعين:

أحدهما: مرض بالنفاق والشك والكفر، ومنه قوله تعالى في المنافقين ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

والثاني: منهما إطلاق مرض القلب على ميله للفاحشة والزنى، ومنه بهذا المعنى قوله ﷺ: ﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الاحزاب: ٣٢]؛ أي: ميل إلى الزنى.

[٧٠٨] قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥].

القريئة القرآنية دلت أن المراد باليوم العقيم: يوم القيامة لا يوم بدر، أتبع ﷺ ذكر اليوم العقيم بقوله: ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لَّهَّ﴾ [الحج: ٥٦].

[٧٠٩] قوله تعالى: ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦].

ذكر ﷺ في هذه الآية الكريمة: أن الملك يوم القيامة له، وإن كان الملك في الدنيا له أيضاً؛ لأن في الدنيا ملوكاً من المخلوقين، ويوم القيامة لا يكون فيه اسم الملك إلا الله ﷻ وحده.

[٧١٠] قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

إيلاج كل واحد منهما في الآخر، إنما هو بإدخال جزء منه فيه، وبذلك يطول النهار في الصيف؛ لأنه أولج فيه شيء من الليل ويطول الليل في الشتاء؛ لأنه أولج فيه شيء من النهار، وهذا من أدلة قدرته الكاملة.

[٧١١] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣].

الظاهر: أن «تَرَ» هنا من رأى بمعنى: علم؛ لأن إنزال المطر وإن كان مشاهداً بالبصر فكون الله هو الذي أنزله، إنما يدرك بالعلم لا بالبصر؛ فالرؤية هنا علمية على التحقيق.

[٧١٢] قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

المراد بالذي سماهم المسلمين فيه: هو الله لا إبراهيم، وكذلك سياق الجمل المذكورة قبله نحو ﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

﴿٧١٣﴾ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

الفلاح يطلق في لغة العرب على معنيين:

الأول: الفوز بالمطلوب الأكبر.

والثاني: هو إطلاق الفلاح على البقاء السرمدي في النعيم.

﴿٧١٤﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

أصل الخشوع: السكون، والطمأنينة، والانخفاض، وفي الشرع: خشية من الله تكون في القلب، فتظهر آثارها على الجوارح، وقد بين أن من لم يتصف بهذا الخشوع تصعب عليه الصلاة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

﴿٧١٥﴾ استدل جماعة من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] على أن من خشوع المصلي: أن يكون نظره في صلاته إلى موضع سجوده.

﴿٧١٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

أصل اللغو: ما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، فيدخل فيه اللعب واللهو والهزل، وما توجب المروءة تركه.

[٧١٧] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكَّوَةِ فَعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

المراد بها: زكاة الأموال، وعزاه ابن كثير للأكثرين.

القول الثاني: زكاة النفس؛ أي: تطهيرها من الشرك، والمعاصي.

قال ابن كثير: ويحتمل أن يكون كلا الأمرين مراداً وهو زكاة النفوس، وزكاة الأموال فإنه من جملة زكاة النفوس.

[٧١٨] قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ﴾ [٥] إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ [المؤمنون: ٥، ٦].

تدل بظاهرها على منع نكاح المتعة.

[٧١٩] قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [١٠] الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [المؤمنون: ١٠، ١١].

الفردوس: أعلى الجنة، وأوسطها، ومنه تفجر أنهار الجنة، وفوقه عرش الرحمن ﷻ جعلنا الله من أهلها.

[٧٢٠] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [١٥] ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ [المؤمنون: ١٥، ١٦].

بيّن ﷻ في هذه الآية الكريمة: أنهم بعد أن أنشأهم خلقاً آخر؛ فأخرج الواحد منهم من بطن أمه صغيراً، ثم يكون محتلماً، ثم يكون شاباً، ثم يكون كهلاً، ثم يكون شيخاً، ثم هرمًا؛ أنهم كلهم صائرون إلى الموت من عمر منهم ومن لم يعمر، ثم هم بعد الموت يبعثون أحياء، يوم القيامة للحساب والجزاء.

٧٢١ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

قيل لها طرائق؛ لأن بعضها فوق بعض؛ يوضح معناه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥].

٧٢٢ قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨].

﴿بِقَدَرٍ﴾؛ أي: بمقدار معين عنده يحصل به نفع الخلق فهو ينزله بالقدر الذي فيه المصلحة، دون المفسدة.

٧٢٣ قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٌ لِلْأَكْلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

قال عليه السلام: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» رواه الترمذي.

٧٢٤ قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٌ لِلْأَكْلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

هي شجرة الزيتون، والدهن الذي تنبت به: هو زيتها، صبغ للأكليين؛ أي: إدام يأتمدون به.

٧٢٥ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤].

﴿تَتْرًا﴾؛ أي: متواترين واحداً بعد واحد، وكل متتابع متتال تسميه العرب متواتراً.

٧٢٦ قوله تعالى: ﴿فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

بعداً؛ أي: هلاكاً مستأصلاً، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥].

٧٢٧ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

الأحاديث جمع: أحدىثة، وهي ما يتحدث به الناس تلهياً وتعجباً؛ كقول الشاعر:

من الخفريات البيض ود جليسا إذا ما انقضت أحدىثة لو تعيدها

٧٢٨ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾

[المؤمنون: ٥١].

يدل على أن الأكل من الحلال له أثر في العمل الصالح، وهو كذلك.

٧٢٩ قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٦٢].

كتاب الأعمال الذي يحصيها الله فيه، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

٧٣٠ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

شريعتكم واحدة ودينكم واحد وربكم واحد؛ فلا تتفرقوا في الدين.

٧٣١ قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ

فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

﴿زُبُرًا﴾ أي: قطعاً كزبر الحديد والفضة؛ أي: قطعها.

٧٣٢ قوله تعالى: ﴿فَذَرُّهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤].

﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾:

قال الكلبي: جهالتهم.
ابن بحر: في حيرتهم.
ابن سلام: في غفلتهم.
وقول بعضهم: في ضلالتهم.
فمعنى كل هذه الأقوال واحد.

[٧٢٣] قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
[المؤمنون: ٦٢].

معنى نطق الكتاب بالحق: أن جميع المكتوب فيه حق فمن قرأ
المكتوب فيه؛ كأنه لا ينطق في قراءته له إلا بالحق.

[٧٢٤] قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ
لِلْحَقِّ كَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

أم المذكورة في هذه الآية هي المعروفة عند النحويين بأم
المنقطعة، وأم المنقطعة تأتي لثلاثة معان:

الأول: أن تكون بمعنى: بل الإضرابية.

الثاني: أن تكون بمعنى همزة استفهام الإنكار.

الثالث: أن تكون بمعناها معاً فتكون جامعة بين الإضراب
والإنكار، وهذا الأخير هو الأكثر في معناها.

[٧٢٥] وفي هذه الآية الكريمة سؤال معروف وهو أن يقال: قوله:
﴿وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠] يفهم من مفهوم مخالفته، أن
قليلاً من الكفار، ليسوا كارهين للحق.

والجواب عن هذا السؤال: هو ما أجاب به بعض أهل العلم

بأن قليلاً من الكفار، كانوا لا يكرهون الحق، وسبب امتناعهم عن الإيمان بالله ورسوله ليس هو كراهيتهم للحق، ولكن سببه الأنفة والاستنكاف من توبيخ قومهم، وأن يقولوا صبؤوا وفارقوا دين آبائهم، ومن أمثلة من وقع له هذا: أبو طالب فإنه لا يكره الحق، الذي جاء به النبي ﷺ، وقد كان يشد عضده في تبليغه رسالته كما قدمنا في شعره في قوله:

اصدع بأمرك ما عليك غضاضة

وقد بين أبو طالب في شعره: أن السبب المانع له من اعتناق الإسلام ليس كراهية الحق، ولكنه الأنفة والخوف من ملامة قومه أو سبهم له، كما في قوله:

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك يقينا

٧٢٦ قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢].

المراد بالخرج والخراج هنا: الأجر والجزاء.

٧٢٧ قوله تعالى: ﴿فَأَن تَسْحُرُون﴾ [المؤمنون: ٨٩].

والظاهر أن معنى تسحرون هنا: تخدعون بالشبه الباطلة فيذهب بعقولكم، عن الحق كما يفعل بالمسحور، والله تعالى أعلم.

٧٢٨ قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾

[المؤمنون: ١٠٤].

الكالح: هو الذي تقلصت شفتاه حتى بدت أسنانه، والنار والعياذ بالله تحرق شفاههم، حتى تقلص عن أسنانهم.

٧٣٩ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾

[المؤمنون: ١١٨].

المغفرة: ستر الذنوب بعفو الله وحلمه حتى لا يظهر لها أثر
يتضرر به صاحبها.. اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا.

والرحمة صفة لله التي اشتق لنفسه منها اسمه الرحمن، واسمه
الرحيم، وهي صفة تظهر آثارها في خلقه الذين يرحمهم.



سُورَةُ النُّورِ

﴿٧٤٠﴾ عدم قبول شهادة الكفار مطلقاً؛ لأن الله يقول في المسلمين الفاسقين: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤] فالكافر أولى بذلك.

﴿٧٤١﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

هل حد القذف على الذكور فقط؟

أم يشمل كل من قذف غيره؟

لا يخفى أن الآية إنما نصت على قذف الذكور للإناث خاصة؛ لأن ذلك هو صريح قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ وقد أجمع جميع المسلمين على أن قذف الذكور للذكور، أو الإناث للإناث، أو الإناث للذكور لا فرق بينه وبين ما نصت عليه الآية، من قذف الذكور للإناث؛ للجزم بنفي الفارق بين الجميع.

﴿٧٤٢﴾ من قذف إنساناً بغير الزنى أو نفي النسب؛ كأن يقول له: يا فاسق، أو: يا آكل الربا، ونحو ذلك من أنواع السب يلزمه التعزير.

﴿٧٤٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا رَكَّ مِنْكُمْ مِنَ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

والزكاة في هذه الآية: هي الطهارة من أنجاس الشرك، والمعاصي.

٢٧٤٤ قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُرَكِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٢١].

أي: يطهره من أدناس الكفر والمعاصي بتوفيقه وهدايته إلى الإيمان والتوبة النصوح والأعمال الصالحة.

٢٧٤٥ قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢].

فيه الأمر من الله للمؤمنين إذا أساء إليهم بعض إخوانهم المسلمين أن يعفوا عن إساءتهم ويصفحوا.

الصفح: قال بعض أهل العلم: مشتق من صفحة العنق؛ أي: أعرضوا عن مكافأة إساءتهم حتى كأنكم تولونها بصفحة العنق، معرضين عنها.

وأصل العفو: من عفت الريح الأثر إذا طمسته. والمعنى: فليطمسوا آثار الإساءة بحلمهم وتجاوزهم.

٢٧٤٦ قوله تعالى: ﴿أَلَا يُحِوُّنَ أَنَّ يَعْفِرَ اللَّهُ لَكُمُ﴾ [النور: ٢٢].

دليل على أن العفو والصفح على المسيئ المسلم من موجبات غفران الذنوب، والجزاء من جنس العمل.

٢٧٤٧ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَوْا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

دليل أن دخول الإنسان بيت غيره بدون الاستئذان والسلام لا يجوز.

لفظ الزينة يكثر تكراره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا﴾ [الكهف: ٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]

وقوله تعالى: ﴿وَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي رِسَنِهِ﴾ [الفصل ٧٩] وقوله تعالى: ﴿يَصْرِنَ بَأْزَجِلِهِمْ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ رِسَنِهِمْ وَتُؤْبَأَ﴾ [السور: ٣١] فلفظ الرينة في هذه الآيات كلها يراد به ما يرين به الشيء وهو ليس من أصل خلقته.

[٧٥٣] قوله تعالى: ﴿وَتُؤْبَأُ﴾ [النور: ٣١].
تَفِيحُونَ هـ [النور: ٣١].

الفلاح في اللغة: يطلق على معنيين:

١ - الفوز بالمطلوب الأعظم.

٢ - البقاء الدائم في النعيم والسرور.

ومن تاب إلى الله - كما أمره الله - نال الفلاح بمعنييه، فإنه يفوز بالمطلوب الأعظم وهو الجنة، ورضا الله ﷻ، وكذلك ينال ابقاء الأبدى في النعيم والسرور.

وأظهر أقوال أهل العلم أنه إن تاب توبة نصوحاً وكفر الله عنه سيئاته بتلك التوبة النصوح، ثم عاد إلى الذنب بعد ذلك أن توبته الأولى الواقعة على الوجه المطلوب لا يبطلها الرجوع إلى الذنب؛ بل تجب عليه التوبة من جديد لذنبه الجديد.

[٧٥٤] قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا أَزْوَاجًا﴾ [النور: ٣٢].
وَمَذَكَّةٌ هـ [النور: ٣٢].

الحالية من زوج إذا خطبها كفء ورضيته وجب على وليها تزويجها إياه.

[٧٥٥] قوله تعالى: ﴿يَكُونُوا أَزْوَاجًا﴾ [النور: ٣٢].

فيه وعد من الله للمتزوج الفقير من الأحرار والعبيد بأن الله يغنيه والله لا يخلف الميعاد.

٧٥٦ لفظة «لَمَّا» ترد في القرآن وفي كلام العرب على ثلاثة أنواع:

الأول: لما النافية الجازمة للمضارع، نحو قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤].

الثاني: أن تكون حرف استثناء بمعنى: إلا، فتدخل على الجملة الإسمية؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

الثالث: من أنواع «لَمَّا» هو النوع المختص بالماضي المقتضي جملتين، توجد ثانيتهما عند وجود أولاهما؛ كقوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩]؛ أي: لما ظلموا أهلكناهم، فما قبلها دليل على الجملة المحذوفة، وهذا النوع هو الغالب في القرآن وفي كلام العرب.

٧٥٧ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤].

فحادثة الإفك التي نزلت فيها براءة عائشة رضي الله عنها في هذه الآيات نزل مثلها آيات في يوسف عليه السلام ومريم عليها السلام وكلهم رُمي بما لا يليق، وكل منهم برأه الله تعالى.

٧٥٨ قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَلْقَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَنْصُرُ﴾ [النور: ٣٧].

تقلب القلوب: هو حركتها من أماكنها، وتقلب الأبصار: هو دورانها بالنظر في جميع الجهات من شدة الخوف.

٧٥٩ قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [النور: ٣٨].

يدل على أن المباح حسن لأن أحسن صيغة تفضيل، وصيغة التفضيل المذكورة تدل على أن من أعمالهم حسناً لم يجزوه وهو المباح.

٧٦٠ الطير تسبح وتصلي صلاة وتسبيحاً يعلمهما الله ونحن لا نعلمهما ﴿إِنَّ نَزَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَرُّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١].

٧٦١ قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَزَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكُماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِيبَةٍ﴾ [النور: ٤٣].

الودق: هو المطر يخرج من خلال السحاب الذي هو المزن.

٧٦٢ طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوة والاستخلاف في الأرض ونفوذ الكلمة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥].

٧٦٣ قوله تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

دليل واضح على أن المرأة التي فيها جمال ولها طمع في النكاح، لا يرخص لها في وضع شيء من ثيابها بحضرة الأجانب.

٧٦٤ قوله تعالى: ﴿فَلْيَخْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

هذه الآية دليل على قاعدة: الأمر المجرد عن القرائن يقتضي

الوجوب.

٧٦٥ وإتيان قد للتحقيق مع المضارع كثير جداً في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّتُونَ بِكُمْ لِيُأَدَّ﴾ [السور: ٦٣] وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ [الاحزاب: ١٨].



سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[٧٦٦] قوله تعالى: ﴿تَسَارَكَ الَّذِي رَزَقَ الْفَرَقَانَ عَلَى عَذِهِ. لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

الإنذار: هو الإعلام المقترن بتهديد وتخويف، وكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذاراً.

[٧٦٧] قوله تعالى: ﴿تَسَارَكَ الَّذِي رَزَقَ الْفَرَقَانَ عَلَى عَذِهِ﴾ [الفرقان: ١].
تبارك: أي: تكاثرت البركات والخيرات من قبله، وذلك يستلزم عظمته وتقده عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

[٧٦٨] قوله تعالى: ﴿تَسَارَكَ الَّذِي رَزَقَ الْفَرَقَانَ﴾ [الفرقان: ١].
تبارك: هو مما يختص به الله تعالى، فلا يقال لغيره تبارك...
قال الشاعر:

تباركت لا معط لشيء منعه وليس لما أعطيت يا رب مانع

[٧٦٩] قوله تعالى: ﴿تَسَارَكَ الَّذِي رَزَقَ الْفَرَقَانَ عَلَى عَذِهِ﴾ [الفرقان: ١].
ذكره صفة العبودية مع تنزيل الفرقان، يدل على أن العبودية لله هي أشرف الصفات.

[٧٧٠] قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ. أَحْزَبُونَ فَقَدْ حَاءُوا طُنْمًا وَرُوْرًا﴾ [الفرقان: ٤].

الإفك: هو أسوأ الكذب؛ لأنه قلب للكلام عن الحق إلى الباطل.

٧٧١ قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّتَّوْلًا﴾ [الفرقان: ١٦].

فيه وجهان:

- ١ - أن معنى كونه متوولاً: أن المؤمنين كانوا يسألونه، وكانت الملائكة أيضاً تسأله لهم.
- ٢ - متوولاً: أي: واجباً.

٧٧٢ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾

[الفرقان: ١٩].

قال ابن كثير: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ﴾ أي: يشرك بالله. وهذا التفسير تشهد له آيات من كتاب الله؛ كقوله ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

٧٧٣ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠].

كل واحد مختبر بصاحبه؛ فالغني ممتحن بالفقير عليه أن يواسيه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغني عليه أن لا يحسده.

٧٧٤ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾

[الفرقان: ٢٢].

يدل بدليل خطابه: أي: مفهوم مخالفته، أن غير المجرمين يوم يرون الملائكة تكون لهم البشـرى. . إذا المجرم رأى الملائكة عند موته لا بشـرى له لأنه يرى العذاب، أما المؤمن إذا رأى الملائكة عنده موته يفرح ويستبشر جعلنا الله منهم.

٢٧٧٥ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۚ﴾ [٢١] يَوَلَّتْ لِي لِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿[الفرقان: ٢٧، ٢٨].

الظالم: عقبة بن أبي معيط.

وفلانا: أمية بن خلف.

٢٧٧٦ قوله تعالى: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢].

أصله من حجره بمعنى: منعه، والحجر: الحرام؛ لأنه ممنوع ومنه قوله: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَفْئَةٌ وَحَرَثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام: ١٣٨]؛ أي: حرام ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

٢٧٧٧ يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وأنهم يتقلبون في رياض الجنة ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] فإن من كان في سرور ونعمة، يقصر عليه الزمن الطويل قصراً شديداً بخلاف من كان في العذاب المهين والبلايا والكروب، فإن الزمن القصير يطول عليه جداً.

٢٧٧٨ قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّتَرَّى تَنْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩].

أي: أهلكهم جميعاً إهلاكاً مستأصلاً والتنبير: الإهلاك والتكسير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا نُزِذُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨]؛ أي: هلاكاً.

٢٧٧٩ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآئٍ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا

كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠].

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَقْنَاهُ﴾ راجع إلى ماء المطر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

[٧٨٠] قوله تعالى: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ [الفرقان: ٥٠].

ليتذكر الذين أخصبت أرضهم لكثرة المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، ويتذكر الذين أجذبت أرضهم ما نزل بهم من البلاء، فيبادروا بالتوبة.

[٧٨١] قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠].

أي: كفراً لنعمة من أنزل عليهم المطر، وذلك بقولهم: مطرنا بنوء كذا.

[٧٨٢] قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١].

لو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة وبعثنا في كل قرية نذيراً يتولى مشقة إنذارها عنك ولكننا اصطفيناك، بعموم الرسالة.

[٧٨٣] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَحَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاحٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْحًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

قصة نهر السنغال بجانب مدينة سان لويس يرويها الشنقيطي رحمه الله فيقول:

وأما على القول الثاني بأن مرج بمعنى: خلط؛ فالمعنى: أنه يوجد في بعض المواضع اختلاط الماء المالح والماء العذب في مجرى واحد، ولا يختلط أحدهما بالآخر؛ بل يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، وهذا محقق الوجود في بعض البلاد، ومن المواضع التي هو واقع فيها المحل الذي يختلط فيه نهر السنغال

بالمحيط الأطلسي بجانب مدينة سان لويس، وقد زرت مدينة سان لويس عام ست وستين وثلاثمائة وألف هجرية، واغتسلت مرة في نهر السنغال، ومرة في المحيط، ولم آت محل اختلاطهما، ولكن أخربي بعض المرافقين الثقات أنه جاء إلى محل اختلاطهما، وأنه حالس يعرف بإحدى يديه عذبا وفراتا، وبالأخرى ملحاً أجاجاً، والجميع في محرى واحد، لا يختلط أحدهما بالآخر، فسبحانه ﷻ ما أعظمه، وما أكمل قدرته.

[٧٨٤] قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

وكان الكافر معيناً للشيطان، وحزبه من الكفرة على عداوة الله ورسوله.

[٧٨٥] قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَدَاوَتُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿كَانَ غَرَامًا﴾؛ أي: كان لازماً دائماً غير مفارق ومنه سمي العريم لملازمته ويقال: فلان مغرم بكذا؛ أي: لازم له مولع به.

[٧٨٦] قوله تعالى: ﴿وَكَرِهْتُكَ ذَلِكَ قَوْمًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

أي: بئس ذلك المذكور من الإسراف والقتر، ﴿قَوْمًا﴾؛ أي: عدلاً وسطاً سالماً من عيب الإسراف والقتر.

أصول الاقتصاد الكبار أربعة:

الأول معرفة حكم الله في الوجه الذي يكتسب به المال، واجتناب الاكتساب به، إن كان محرماً شرعاً.

الثاني حسن النظر في اكتساب المال بعد معرفة ما يبيحه خالق السماوات والأرض، وما لا يبيحه.

الثالث: معرفة حكم الله في الأوجه التي يصرف فيها المال، واجتناب المحرم منها.

الرابع: حسن النظر في أوجه الصرف واجتناب ما لا يفيد منها، فكل من بنى اقتصاده على هذه الأسس الأربعة كان اقتصاده كفيلاً بمصلحته، وكان مرضياً لله.



سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٧٨٧ قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ أَنَّى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩].

المراد: كفر النعمة؛ يعني: أنعمنا عليك بتربيتنا إياك صغيراً وقابلت إحساننا بالإساءة لقتلك نفساً منا.

٧٨٨ ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

أي: من الذاهبين عن علم حقيقة العلوم، والأسرار التي لا تعلم إلا عن طريق الوحي؛ لأنني في ذلك الوقت لم يوح إلي.

٧٨٩ من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيراً واحداً فقد كذب جميع النذر؛ لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

٧٩٠ قال بعض العلماء: كل «لَعَلَّ» في القرآن فهي للتعليل إلا التي في الشعراء: ﴿وَتَنَحِّدُونَ مَصَايِعَ لَعَنَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩] فهي بمعنى: كأنكم تخلدون.

٧٩١ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١].

وإنما قال إنهم كذبوا المرسلين مع أن الذي كذبوه هو صالح وحده؛ لأن دعوة جميع الرسل واحدة، وهي تحقيق معنى لا إله إلا الله.

٧٩٢ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨].
كل صوت غير عربي تسميه العرب: أعجم، ولو من غير
عاقل.

٧٩٣ قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقَفُّكَ فِي السَّحَابِ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، وحين تقوم من فراشك
ومجلسك. ﴿وَتَقَفُّكَ فِي السَّحَابِ﴾؛ أي: المصلين.

٧٩٤ ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].
التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه أن الشعر كلام حسنه
حسن، وقبيحه قبيح.



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

٧٩٥ قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦].

قال ابن كثير: أي: في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة.

٧٩٦ لما جاء الهمد يخبّر سليمان عيسى عن ملكة سبأ وقومها لم يعلم عنهم شيئاً فلم يكذب الخبر بكونه من الهمد ولم يصدقه؛ لأنه لم يعلم عنهم سابقاً، مع أنه وصف حالهم وصفاً دقيقاً. وكان موقفه موقف التثبت مع ما لديه من إمكانيات الكشف والتحقيق فقال له: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

٧٩٧ قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَطِيزَا بَكَ وَرِمَا فَعَكَ قَالَ طَعِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ لَئِنْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

﴿أَطِيزَا بَكَ﴾ أي: تشاءمنا بك، التطير: التشاؤم، وأصل اشتقاقه من التشاؤم برجر الطير.

٧٩٨ قوله تعالى: ﴿قَالَ طَعِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ لَئِنْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

أي: سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله؛ فالشر الذي أصابكم بذنوبكم لا بشؤم صالح.

٧٩٩ قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِرًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بُدٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

فهو حاجز من قدرة الله غير مرئي للبشر.

٨٠٠ الله جلَّ أَوْضَحُ في غير موضع أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره، قال جلَّ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

٨٠١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن النبي ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. [صحيح مسلم].

٨٠٢ قوله تعالى: ﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦].
﴿بَلْ أَدْرَاكَ﴾: تكامل علمهم في الآخرة حين يعاينونها؛ أي: يعلمون في الآخرة علماً كاملاً، ما كانوا يجهلون في الدنيا.

٨٠٣ قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].
«من» بمعنى: عن، وعمون جمع: عم، وهو الوصف من عمى يعمى فهو أعمى وعم؛ قال زهير:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

٨٠٤ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْحًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٨٣].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يرد أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يدفعون جميعاً.

[٨٠٥] قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَادًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤].

سؤال توبيخ وتقريع، فقد وبخهم ﷻ فيه على فساد الاعتقاد، وفساد الأعمال.

[٨٠٦] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُنْتُ وَحُوهُمْ فِي النَّارِ هَٰذَا تُخْرِجُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾؛ يعني: الشرك.



سُورَةُ الْقَصَصِ

٨٠٧ قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

أئمة جمع: إمام؛ أي: قادة في الخير، دعاة إليه.

٨٠٨ قوله تعالى: ﴿وَالْفَلَقَةُ، أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا
وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨].

﴿لِيَكُونَ﴾: اللام لام التعليل المعروفة بلام كي؛ كأنه يقول:
قدرنا عليهم التقاطه بمشيئتنا ليكون لهم عدوًّا وحزنًا.

٨٠٩ قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].
حرَّم الله تعالى عليه المراضع غير أمه تحريمًا كونيًّا قدرتيًّا.

٨١٠ استعمل لفظ «الأمة» في القرآن أربعة استعمالات:

١ - استعملها في الجماعة من الناس، وهو
الاستعمال الغالب؛ كقوله: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾
[القصص: ٢٣].

٢ - البرهة من الزمن ﴿وَلَكِنْ أَخْرَأْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾

[هود: ٨].

٣ - الرجل المقتدى به ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

٤ - استعمال «الأمة» في الشريعة والطريقة؛ كقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢].

٨١١ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

الهدى المنفي عنه ﷺ، هو هدى التوفيق؛ لأن التوفيق بيد الله وحده.

والهدى المثبت له ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، هو هدى الدلالة على الحق والإرشاد إليه.

٨١٢ قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

والوجه من الصفات التي يجب الإيمان بها مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق.



سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

٨١٣ قوله تعالى: ﴿أَحِبَّ النَّاسَ أَوْ يُرْكَبُوا أَوْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

الاستفهام في قوله: ﴿أَحِبَّ النَّاسَ﴾ للإنكار؛ أي: أن الناس لا يتركون دون فتنة؛ أي: ابتلاء واختبار.

٨١٤ قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَثِقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

حملوا أوزار ضلالهم في أنفسهم، وأوزار إضلالهم غيرهم؛ لأن من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها.

٨١٥ قوله تعالى: ﴿وَأَيَّتُهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧].

الثناء الحسن على إبراهيم في دار الدنيا من جميع أهل الملل على اختلافهم من كفار ومؤمنين.

٨١٦ قوله تعالى: ﴿وَأَيَّتُهُ أَجْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

الصالح في الدنيا يظهر بالأعمال الحسنة، وسائر الطاعات، وفي الآخرة يظهر بالجزاء الحسن.

٢٨١٧ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فإنكاره ﷺ عليهم عدم الاكتفاء بهذا الكتاب عن الآيات المقترحة يدل على أنه أعظم وأفخم من كل آية، وهو كذلك ألا ترى أنه آية واضحة، ومعجزة باهرة، أعجزت جميع أهل الأرض، هي باقية تتردد في آذان الخلق غضة طرية حتى يأتي أمر الله، بخلاف غيره من معجزات الرسل ﷺ فإنها مضت وانقضت.

٢٨١٨ قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وهذه الآية تدل على أن توحيد الربوبية لا ينقذ من الكفر إلا إذا كان معه توحيد العبادة.



سُورَةُ الرُّومِ

٨١٩ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠].

والتحقيق أن معنى خلقه الناس من تراب: أنه خلق أباهم آدم منها، كما قال عليه السلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٨٢٠ الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ٢٧]؛ ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

٨٢١ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَنَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧].
معناه: أن له الوصف الأكمل الذي هو أعظم الأوصاف وأكملها وأجلها في السماوات والأرض.

٨٢٢ قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].
أي: كل فرقة من هؤلاء الفرق الضالين المختلفين المتقطعين دينهم قطعاً فرحون بباطلهم، مطمئنون إليه، معتقدون أنه هو الحق.

٨٢٣ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].

أي: يتفرقون فريقين: أحدهما: في الجنة، والثاني: في النار.

٨٢٤ قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠].

أي: بإنزاله الغيث وإنبات النبات مما لا يقدر عليه إلا هو؛ فكان حقه على خلقه أن يعبدوه وحده لا إله إلا هو.



سُورَةُ الْقُثَمَانِ

٨٢٥ قد تطلق العرب البشارة على الإخبار بما يسوء، ومنه قوله **﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [لقمان: ٧] وقول الشاعر:

وبشرتني يا سعد أن أحبتي جفوني وقالوا الود موعده الحشر

٨٢٦ قوله تعالى: **﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** [لقمان: ١٨].

معناه: لا تتكبر على الناس، والصعر: الميل، والمتكبر يميل وجهه عن الناس متكبراً عليهم معرضاً عنهم.



سُورَةُ السَّجْدَةِ

٨٢٧ الجن مكلفون على لسان نبينا ﷺ بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وأن كافرهم في النار بإجماع المسلمين ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

٨٢٨ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُوكَ يَا مَرْيَمُ لِمَا صَبَرْتِ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].
فبالصبر تترك الشهوات وباليقين تدفع الشبهات.

٨٢٩ الإمام أحمد أته البدع فنفاها والدنيا فأباها، وهذه حال أئمة المتقين وصفهم الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُوكَ يَا مَرْيَمُ لِمَا صَبَرْتِ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

٨٣٠ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨].

أظهر أقوال أهل العلم عندي: هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء.



سُورَةُ الْأَحْزَابِ

٨٣١ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾

[الأحزاب: ١].

الخطاب الخاص لفظه بالنبي ﷺ يشمل حكمه جميع الأمة.

٨٣٢ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾

[الأحزاب: ٤].

ظاهر من امرأته وهو أن يقول لها: أنت علي كظهر أمي؛
يعني: أنها حرام عليه.

٨٣٣ قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

المراد بكون أزواجه ﷺ أمهات المؤمنين: هو حرمتهن عليهم؛
كحرمة الأم، واحترامهم لهن كاحترام الأم. قال ابن كثير: أي: في
الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام.

٨٣٤ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا الَّذِي آتَى الْمُؤْمِنُونَ زُلْزَلًا شَدِيدًا﴾

[الأحزاب: ١١].

وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض.

٨٣٥ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فهذا الإيمان الكامل، وهذا التسليم العظيم لله ﷻ، ثقة به، وتوكلاً عليه، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى.

٨٣٦ قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قوله ﷻ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾ صريح في أن الإيمان يزيد، فلا وجه للاختلاف فيه مع تصريح الله ﷻ به في كتابه.

٨٣٧ لفظة «كفى» تستعمل في القرآن واللغة العربية استعمالين:

تستعمل متعدية، وهي تتعدى غالباً إلى مفعولين، وفاعل هذه المتعدية لا يجر بالباء؛ كقوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وكقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ونحو ذلك من الآيات.

وتستعمل لازمة، ويطردها جر فاعلها بالباء المزملة لتوكيد الكفاية؛ كقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦] ونحو ذلك.

٨٣٨ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٨٣٩ شمول الآية الكريمة لأزواج النبي ﷺ ولعلي وفاطمة

والحسن والحسين، رضي الله عنهم كلهم.

٨٤٠ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

لأجل أن يذهب عنكم الرجس، والرجس: كل مستقذر تعافه النفوس، ومن أقذر المستقذرات: معصية الله تعالى.

٨٤١ المطلقة قبل الدخول بها لا عدة عليها ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

٨٤٢ قول بعضهم: إن آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

خاصة بأزواج النبي ﷺ، فإن تعليله تعالى لهذا الحكم الذي هو إيجاب الحجاب بكونه أظهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة، في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لَكُمْ أَظْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم، إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين إن غير أزواج النبي ﷺ لا حاجة إلى أظهيرية قلوبهن وقلوب الرجال من الريبة منهن.

٨٤٣ من لطائف وفوائد الشنقيطي رحمه الله استدلاله من قوله تعالى: ﴿يُذْنِبُكَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبِيْبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] بوجوب تغطية الوجه للمرأة:

فإن قيل: لفظ الآية الكريمة وهو قوله تعالى: ﴿يُذْنِبُكَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبِيْبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] لا يستلزم معناه ستر الوجه لغة، ولم يرد نص من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع على استلزامه ذلك، وقول بعض المفسرين:

إنه يستلزمه، معارض بقول بعضهم: إنه لا يستلزمه، وبهذا يسقط الاستدلال بالآية على وجوب ستر الوجه.

فالجواب: أن في الآية الكريمة قرينة واضحة على أن قوله تعالى فيها: ﴿يُذْنِبُكَ عَلَيْهِنَ مِنْ جَلْبِيْبِهِنَّ﴾ يدخل في معناه ستر وجوههن بإدناء جلايبهن عليها، والقرينة المذكورة هي قوله تعالى:

﴿قُلْ لِّأَزْوَاجِكُمْ﴾ ، ووجوب احتجاب أزواجه وسترهن وجوههن ، لا نزاع فيه بين المسلمين . فذكر الأزواج مع البنات ونساء المؤمنين يدل على وجوب ستر الوجوه بإدناء الجلايب ، كما ترى .

[٨٤٤] من الأدلة القرآنية على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ، ولو فرضنا أن آية الحجاب خاصة بأزواجه ﷺ فلا شك أنهم خير أسوة لنساء المسلمين في الآداب الكريمة المقتضية للطهارة التامة ، وبعض أهل العلم يقول : إن قبيحة الوجه التي لا يرغب فيها الرجال لقبحها ، لها حكم القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً ، والمنصف يعلم أنه يبعد كل البعد أن يأذن الشارع للنساء في الكشف عن الوجه أمام الرجال الأجانب مع أن الوجه هو أصل الجمال .

[٨٤٥] الله تعالى لا يخاطب النبي ﷺ في كتابه باسمه وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير ؛ كقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٦٧] .

﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ﴾ [المزمل: ١] .

اعلم أن عدم احترام النبي ﷺ المشعر بالغض منه ، أو تنقيصه ﷺ والاستخفاف به أو الاستهزاء به - ردة عن الإسلام وكفر بالله .



سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

٨٤٦ قوله تعالى: ﴿يَجَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ [سبا: ١٠].

قوله: ﴿أَوِي مَعَهُ﴾؛ أي: رجعي معه التسبيح؛ ﴿وَالطَّيْرُ﴾؛ أي: وناديننا الطير بمثل ذلك من ترجيع التسبيح معه، والتحقيق: أن تسبيح الجبال والطير مع داود المذكور تسبيح حقيقي؛ لأن الله ﷻ يجعل لها إدراكات تسبح بها، يعلمها هو ﷻ ونحن لا نعلمها.

٨٤٧ قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدِرَ فِي السَّرْدِ﴾ [سبا: ١١].

يدل على الاستعداد لمكافحة العدو.

وقوله: ﴿وَأَعْمَلُوا صَليحًا﴾ يدل على أن ذلك الاستعداد لمكافحة العدو في حدود الدين.

٨٤٨ قوله تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ ﴿١٠﴾ أن أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدِرَ

فِي السَّرْدِ [سبا: ١٠، ١١].

﴿أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ﴾؛ أي: أن اصنع دروعاً سابغات من الحديد الذي ألناه لك، والسرد: نسج الدرع.

٨٤٩ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ

مَا لَيْسُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبا: ١٤].

فيه نص على أن الجن لا تعلم الغيب.

٨٥٠ قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [سبا: ١٩].

أي: أخباراً وقصصاً يسمر بها، ويتعجب منها، كما قال ابن دريد:

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

٨٥١ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبا: ٣١].

﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: ولا بالذي كان أمامه سابقاً عليه من الكتب.

٨٥٢ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبا: ٥٢].

يبعد كل البعد أن يتناول الكفار الإيمان النافع في الآخرة بعدما ضيعوا ذلك وقت إمكانه في الدنيا.



سُورَةُ فَاطِرٍ

٨٥٣ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

أي: خالق السماوات والأرض، ومبدعهما على غير مثال سابق.
عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرته؛ أي: بدأتها.

٨٥٤ قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾

[فاطر: ٢].

الرحمة المذكورة في الآية عامة في كل ما يرحم الله به خلقه من الإنعام الدنيوي والأخروي.

٨٥٥ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢].

الأحياء هنا: المؤمنون، والأموات: الكفار؛ فالحياة هنا حياة إيمان، والموت موت كفر.

٨٥٦ قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٢٢].

قدّم الظالم لئلا يقنط، وآخر السابق بالخير لئلا يعجب بعمله

فيحبط.

٨٥٧ من أرجى آيات القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَعْلَنَّا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٥].

والواو في ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ شاملة للظالم، والمقتصد والسابق على التحقيق، ولذا قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين.

٨٥٨ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].
المكر: إظهار الطيب وإبطان الخبيث وهو الخديعة، والعرب تقول: حاق به المكروه إذا نزل به وأحاط به، ولا يطلق إلا على إحاطة المكروه خاصة ولا يقال: حاق به الخير.

٨٥٩ قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكْ عَلَى طَهْرِهِ مِنْ ذَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].
قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] الضمير فيهما راجع إلى الأرض ولم يجر لها ذكر.



سُورَةُ الْيُسُفٰى

٨٦٠ من لم ينتفع بالإنذار، ومن لم ينذر أصلاً - سواء في عدم الانتفاع، كما قال الله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ١٠].

٨٦١ قوله تعالى: ﴿وَنَكُتُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

آثارهم: هو ما سنَّوه في الإسلام من سُنَّة حسنة أو سيئة، فهو من آثارهم التي يعمل بها بعدهم.

المعنى الثاني: آثارهم: خطاهم إلى المساجد ونحوها من فعل الخير، وكذلك خطاهم إلى الشر.

٨٦٢ قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢].
﴿فَطَرَنِي﴾ خلقني وابتدعني، أي شيء ثبت لي يمنعني من أن أعبد الذي خلقني وابتدعني وأبرزني من العدم إلى الوجود.

٨٦٣ قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠].

إنها قدرة باهرة، وحكمة بالغة، وإرادة قاهرة، وسلطة غالبة، قدرة من أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

٨٦٤ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

﴿الْأَحْدَاثِ﴾ القبور، ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون في المشي من القبور إلى المحشر.

٨٦٥ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٢].

قوله: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾؛ أي: خلقاً كثيراً؛ كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤].

٨٦٦ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨].

وأصل معنى التنكيس: جعل أعلى الشيء أسفله. جعلناه يتناقض حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده، وقلة عقله، وخلوه من العلم.

٨٦٧ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

فالإنسان بالأمس نطفة واليوم هو في غاية البيان وشدة الخصام ينكر قدرة ربه على البعث.

٨٦٨ براهين البعث الأربعة التي كثر مجيئها في القرآن:
- خلق الإنسان: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

- خلق السماوات والأرض: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

- إحياء الأرض بعد موتها: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ فَاهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ﴾ [الحج: ٥].

- إحياء الموتى بالفعل؛ كقتيل بني إسرائيل.



سُورَةُ الصَّافَّاتِ

٨٦٩ قوله تعالى: ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]:

الملائكة، وقد جاء وصف الملائكة بأنهم صافون، وذلك في قوله تعالى عنهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (١٦٦) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَوُونَ ﴿[الصافات: ١٦٥، ١٦٦]، ومعنى كونهم صافين: أن يكونوا صفوفاً متراسين بعضهم جنب بعض في طاعة الله تعالى، من صلاة وغيرها.

٨٧٠ قوله تعالى: ﴿فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ٢]:

الملائكة تزجر السحاب، وقيل: تزجر الخلائق عن معاصي الله بالذكر الذي تتلوه، وتلقيه إلى الأنبياء.

٨٧١ قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا زِينَةَ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]:

أي: السماء الموائية للأرض، ومفهومه أن بقية السماوات ليست فيها مصابيح التي هي النجوم والكواكب كما قال: ﴿زِينَةَ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، ويدل لهذا المفهوم ما جاء به عن قتادة: أن الله جعل النجوم لثلاثة أمور: زينة السماء الدنيا ورجوماً للشياطين وعلامات واهتداء في البر والبحر.

وهذه الأمور الثلاثة تتعلق بالسماء الدنيا؛ لأن الشياطين لا تنفذ إلى السماوات الأخرى؛ لأنها أجرام محفوظة.

٨٧٢ قوله تعالى: ﴿كُلَّ عَاجَتٍ وَنَحْرُونَ﴾ [الصافات: ١٢].

قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير حمزة والكسائي: ﴿عَاجَتٍ﴾ بالتاء المفتوحة وهي تاء الخطاب، المخاطب بها النبي ﷺ، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿بَلْ عَجْبٌ﴾، بضم التاء وهي تاء المتكلم، وهو الله ﷻ، وفيها إثبات العجب لله تعالى.

٨٧٣ قوله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ طَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

أي: اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم، ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾؛ أي: أشباههم ونظرائهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني... وهكذا.

٨٧٤ قوله تعالى: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣].

﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾، من الهدى العام؛ أي: دلوهم وأرشدوهم ﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: طريق النار ليسلكوها إليها.

دلت هذه الآية أن الهدى يستعمل في الإرشاد والدلالة على الشر، ونظير ذلك في القرآن قوله: ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [النح: ٤].

٨٧٥ قوله تعالى: ﴿فَأَعْوَتَكُمْ إِنْ أُنْكَا عَنْ يَمِينٍ﴾ [الصافات: ٣٢].

متبع الغاوي في غيه لا بد أن يكون غاوياً مثله، والإغواء: الإضلال.

٨٧٦ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: ٣٤].

المجرمون جمع: مجرم، وهو مرتكب الجريمة، وهي الذنب الذي يستحق صاحبه عليه التنكيل الشديد.

٨٧٧ قوله تعالى: ﴿وَعَيْنُهُمْ قَصَّرَتْ أَنْ يُبْصِرَ﴾ [الصافات: ٤٨].

عيونهن قاصرات على أزواجهن، لا ينظرون إلى غيرهم، والعين جمع: عينا، وهي واسعة دار العين، وهي النجلاء.

٨٧٨ قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩].

ألوانهن بيض بياضاً مشرباً بصفرة؛ لأن ذلك هو لون بيض النعام الذي شبههن به.

٨٧٩ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَذَابَ لَسْوَةٍ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: ٦٧].

﴿لَسْوَةٍ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: خلطاً من الماء البالغ غاية الحرارة.

٨٨٠ قوله تعالى: ﴿يَنْهَوْنَ أَلْفًا مِمَّا هُمْ صَائِلِينَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠].

﴿يَنْهَوْنَ﴾ أي: يتبعونهم في ذلك الضلال والكفر مسرعين فيه.

٨٨١ الدليل أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام: قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ

بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عبر عنه في كلها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم.

قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا

مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الصافات: ١١٢]، فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية.

٨٨٢ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُوسُفُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩، ١٤٠].

﴿وَإِذْ يُوسُفُ﴾ أي: حين أبق، وهو من قول العرب: عبد أبق؛

لأن يوسف خرج قبل أن يأذن له ربه.

سُورَةُ صٰ

٨٨٣ قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١].

قرأه الجمهور: ص بالسكون منهم القراء السبعة، والتحقيق أن ص من الحروف المقطعة في أوائل السور كـ(ص) في قوله تعالى: ﴿التَّصَّ﴾ [الأعراف: ١].

قراءة من قرأ ص بكسر الدال غير منونة.

ومن قرأها بكسر الدال منونة.

ومن قرأها بفتح الدال.

ومن قرأها بضمها غير منونة.

كلها قراءات شاذة لا يعول عليها.

٨٨٤ قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١].

١ - الذكر بمعنى: الشرف.

٢ - الذكر اسم مصدر بمعنى: التذكير؛ لأن القرآن فيه التذكير والمواعظ، وهذا قول الجمهور واختاره ابن جرير.

٨٨٥ قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢].

﴿فِي عِزَّةٍ﴾ أي: حمية واستكبار عن قبول الحق، والشقاق:

هي المخالفة والمعاندة كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَوْلَا فَئِمَّا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾

[البقرة: ١٣٧].

٣٨٨٦ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَهْلَكْنَا بِمِثْقَلِهِمْ مِثْرَةَ الْقَرْنِ﴾ [ص: ٣].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الخبرية، ومعناها: الإخبار عن عدد كثير، والقرن: يطلق على الأمة وعلى بعض من الزمن، أشهر الأقوال فيه: أنه مائة سنة.

٣٨٨٧ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدْ جِئَ مَاصٍ﴾ [ص: ٣].

معناه: ليس الحين الذي نادوا فيه، وهو وقت معاينة العذاب، ﴿جِئَ مَاصٍ﴾؛ أي: ليس حين فرار ولا ملجأ من ذلك العذاب الذي عاينوه.

٣٨٨٨ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَلَّ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾

[ص: ١٦].

﴿قِطْعًا﴾: القط: النصيب من الشيء؛ أي: عجل لنا نصيبنا من العذاب الذي توعدنا به.

٣٨٨٩ كان بعض علماء التفسير يقول: اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا

البركات والخيرات في الدنيا تصديقاً لقوله: ﴿كَتَبْنَا بُرْدَهُ عَلَىٰ لَيْلٍ مِّنَ اللَّيْلِ فَسَمِعَهُ يَنصُرُكَ﴾ [ص: ٢٩].

٣٨٩٠ قوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

يدل على أنها تجري بأمره حيث أراد من أقطار الأرض.

٣٨٩١ قوله تعالى: ﴿وَأَخْذُ يَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبَ بِهِ، وَلَا تَحْنُثْ﴾ [ص: ٤٤].

الضغث: الحزمة الصغيرة من ريحان ونحوه؛ أي: يأخذ حزمة فيها مائة عود فيضربها بها ضربة واحدة فيخرج بذلك من يمينه.

٨٩٢ قوله تعالى: ﴿وَحَذِّ بِيدِكَ صَغَةً فَأَضْرِبَ بِهِ. وَلَا تَحْتِ﴾ [ص: ٤٤].

قال المفسرون فيه: إنه حلف في مرضه ليضربن زوجه مائة سوط، فأمره الله أن يأخذ صغاً فيضربها به ليخرج من يمينه.

٨٩٣ قوله تعالى: ﴿وَحَذِّ بِيدِكَ صَغَةً فَأَضْرِبَ بِهِ. وَلَا تَحْتِ﴾ [ص: ٤٤].

دلت الآية أن الاستثناء المتأخر لا يفيد، إذ لو كان يفيد لقال الله لأيوب: قل إن شاء الله ليكون ذلك استثناء في يمينك.

٨٩٤ الأمر بالسجود متقدم على خلق آدم.. قال تعالى: ﴿وَعِدَ سَوِيَّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢] ولا ينافي هذا

أنه بعد وجود آدم جدد لهم الأمر بالسجود له تنجيلاً.

٨٩٥ قوله تعالى: ﴿قَالَ يٰٓإِنِّيئْسَ مَا مَعَكَ ۚ لَ تَسْعَدُ لِمَا حَفَّتْ بِيدِي﴾

[ص: ٧٥].

كل لفظ دل على صفة الخالق ظاهره المتبادر منه أن يكون لائقاً بالخالق منزهاً عن مشابهة صفات المخلوق، ولا يصح هنا تأويل اليد بالقدرة البتة لإجماع أهل الحق والباطل، كلهم على أنه لا يجوز تشية القدرة.

الظاهر المتبادر من اليد بالنسبة للخالق في قوله: ﴿وَمَا مَعَكَ ۚ لَ تَسْعَدُ لِمَا حَفَّتْ بِيدِي﴾

أنها صفة كمال لائقه بالله ﷻ ثابتة له على الوجه اللائق بكماله وجلاله.



سُورَةُ الزُّمَرِ

٣٨٩٦ قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخِصًّا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٢﴾ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴿[الزمر: ٢، ٣].

والإخلاص: إفراد المعبود بالقصد، في كل ما أمر بالتقرب به إليه.

٣٨٩٧ قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ ﴿[الزمر: ٣].

أي: التوحيد الصافي من شوائب الشرك؛ أي: هو المستحق لذلك وحده، وهو الذي أمر به.

٣٨٩٨ اتخاذا الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرح به تعالى في قوله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ﴿[الزمر: ٣].

٣٨٩٩ التحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة، على وفق ما جاء به الرسول ﷺ، وبهذا التحقيق تعلم أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهاد المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية: الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه، أنه تخبط في الجهل والعمى وضلال مبين وتلاعب بكتاب الله تعالى، واتخاذ

الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرح به تعالى في قوله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

٩٠٠ قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [الزمر: ٦] سبحانه ربنا ما أعظمك؛ فقد ركب تعالى عظام الإنسان بعضها ببعض، وكساها اللحم، وجعل فيها العروق والعصب، وفتح مجاري البول والغائط، وفتح العيون والأذان والأفواه وفرق الأصابع وشد رؤوسها بالأظافر إلى غير ذلك من غرائب صنعه وعجائبه، وكل هذا في تلك الظلمات الثلاث، لم يحتاج إلى شق بطن أمه وإزالة تلك الظلمات. سبحانه ﷻ ما أعظم شأنه وما أكمل قدرته هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم، ولأن هذه الغرائب والعجائب من صنعه تعالى قال بعد التنبيه عليكم: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

٩٠١ قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦].
أي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة المنطوية على الجنين.

٩٠٢ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

المراد بالقول: ما جاء به النبي ﷺ من وحي الكتاب والسنة، ومن إطلاق القول على القرآن قوله ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

سُورَةُ غَافِرٍ

٩٠٣ قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفِنَّآ اٰثٰثِيْنَ وَآٰحِيٰثِيْنَ﴾ [غافر: ١١].

والإماتة الأولى هي كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، والإماتة الثانية هي موتهم عند انقضاء آجالهم في الدنيا، والإحياءة الأولى نفخ الروح فيهم وإخراجهم أحياء من بطون أمهاتهم، والإحياءة الثانية بعثهم من قبورهم أحياء يوم القيامة.

٩٠٤ قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣].

فالرزق مسبب عن المطر، والمطر سببه، فأطلق المسبب الذي هو الرزق وأريد سببه الذي هو المطر، للملابسة القوية التي بين السبب والمسبب.

٩٠٥ قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ [غافر: ١٨].

الإنذار: الإعلام المقترن بتهديد خاصة، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذاراً؛ وإنما عبر عن القيامة بـ ﴿الْقَوْلُ﴾ لأجل أزوفها؛ أي: قربها، والعرب تقول: أزف الترحل بكسر الزاي.

٩٠٦ قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ﴾ [غافر: ٤٤].

يعني: أنهم يوم القيامة يعلمون صحة ما كان يقول لهم، ويذكرون نصيحته، فيندمون حيث لا ينفع الندم.

﴿٩٠٧﴾ التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه سبب للحفظ والوقاية من كل سوء ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

﴿٩٠٨﴾ المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك، قال الله ﷻ: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِتْرٌ مِّمَّا هُمْ يُبَلِّغُونَ﴾ [غافر: ٥٦].

﴿٩٠٩﴾ من قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أخرى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

﴿٩١٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

القول الأول: اعبدوني أثبكم من عبادتكم.

والثاني: اسألوني أعطكم.

ولا منافاة بين القولين لأن دعاء الله من أنواع عبادته.

﴿٩١١﴾ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

المبطل هو: من مات مصراً على الباطل.

﴿٩١٢﴾ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ [غافر: ٧٩].

أي: خلق لكم الأنعام، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾ [النحل: ٥].

جعل تأتي على ثلاثة معاني في القرآن:

الأول: جعل بمعنى: اعتقد، منه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ

الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ﴾ [الزحرف: ١٩]؛ أي: اعتقدوهم إنائاً.

الثاني: جعل بمعنى: صير؛ كقوله: ﴿حَقَّ جَعَلَنَّهُمْ حَصِيدًا خَمِيدًا﴾ [الأنبياء: ١٥].

الثالث: جعل بمعنى: خلق؛ كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: خلق السماوات والأرض وخلق الظلمات والنور.

٩١٣ قوله تعالى: ﴿...وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: ٨٠].

عَلَيْهَا: أي: الأنعام، والمراد بها هنا: الإبل؛ الْفُلْكِ: السفن، وقرن الأنعام بالفلك؛ لأن الإبل سفائن البر.



سُورَةُ فَصَّلَاتٍ

﴿٩١٤﴾ قوله تعالى: ﴿كُنْ بُ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ﴾ [فصلت: ٣].

إنما قيل له: ﴿كُنْ بُ﴾؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]؛ والمسوغ لحذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ﴾ هو العلم بأن تفصيل آيات هذا القرآن لا يكون إلا من الله وحده.

﴿٩١٥﴾ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥].

الأكنة جمع: كنان، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه.

﴿٩١٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

الآية تدل على خطاب الكفار بفروع الإسلام، رجع بعضهم أن الزكاة في هذه الآية زكاة الأبدان بفعل الطاعات واجتناب المعاصي.

﴿٩١٧﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

الأجر جزاء العمل، وجزاؤهم هو نعيم الجنة، وذلك الجزاء ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع.

٩١٨ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩].

ثم قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: في تنمة أربعة أيام.

٩١٩ قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]. فتضم اليومين إلى الأربعة السابقة، فيكون مجموع الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض وما بينهما ستة أيام.

٩٢٠ قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [فصلت: ١٤]. هذه الآية فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها: هي أن يُعبد الله عَلَّاهُ وحده ولا يشرك به.

٩٢١ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧].

المراد بالهدى في هذه الآية: هدى الدلالة والبيان والإرشاد، لا هدى التوفيق والاصطفاء.

٩٢٢ قوله تعالى: ﴿فَأَحْذَرْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧]. عبر عَلَّاهُ عن الهلاك الذي أهلك به ثمود بعبارات مختلفة: الصاعقة، الصيحة، الرجفة، التدمير، الطاغية؛ ومعنى هذه العبارات كلها راجع إلى شيء واحد: وهو أن الله أرسل عليهم صيحة أهلكتهم، والصيحة: الصوت المزعج المهلك.

والصاعقة: تطلق أيضاً على الصوت المزعج المهلك، وعلى النار المحرقة، وعليهما معاً، ولشدة عظم الصيحة وهولها من فوقهم رجفت بهم الأرض من تحتهم؛ أي: تحركت حركة قوية، فاجتمع فيها أنها صيحة وصاعقة ورجفة، وكون ذلك تدميراً واضح. وقيل لها: طاغية؛ لأنها واقعة مجاوزة للحد في القوة وشدة الإهلاك.

٩٢٣ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾

[فصلت: ١٩].

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يرد أولهم إلى آخرهم، ويلحق آخرهم بأولهم، حتى يجتمعوا جميعاً، ثم يدفعون في النار.

٩٢٤ قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾

[فصلت: ٣٨].

أي: لا يملون، والسَّامَةُ: الملل، ومنه قول زهير:
سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

٩٢٥ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْزِلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

تحركت بالنبات. ولما كان النبات نابتاً فيها متصلاً بها، كان اهتزازها كأنه اهتزازها، فأطلق عليها بهذا الاعتبار.

٩٢٦ قوله تعالى: ﴿أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

ربت: زادت؛ معنى الزيادة الحاصلة في الأرض هي أن النبات لما كان نابتاً فيها متصلاً بها صار كأنه زيادة حصلت في نفس الأرض.

٩٢٧ قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِصٍ﴾ [فصلت: ٤٨].

أي: ليس لهم مفر ولا ملجأ، والظن يطلق في لغة العرب التي نزل بها القرآن على معنيين:

أحدهما: الشك؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

والثاني: هو إطلاق الظن مراداً به العلم واليقين، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾؛ أي: أيقنوا ذلك وعلموه.

والظن هنا بمعنى: اليقين؛ لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، وشاهدوا الحقائق علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص.



سُورَةُ الشُّورَى

٩٢٨ قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

أكد ﷺ في هذه الآية الكريمة، أنه هو الغفور الرحيم، وبين فيها أنه هو وحده المختص بذلك فنرجو الله ﷻ الكريم الرؤوف الغفور الرحيم أن يغفر لنا جميع ذنوبنا، ويتجاوز عن جميع سيئاتنا، ويغفر لإخواننا المسلمين، إنه غفور رحيم.

٩٢٩ قوله تعالى: ﴿لِنُدِرَ أَمْ الْقَرْيَ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

المراد بأم القرى: مكة - حرسها الله -، والمراد بقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ شامل لجميع الأرض، كما رواه ابن جرير وغيره، عن ابن عباس.

٩٣٠ الحلال هو ما أحله الله والحرام هو ما حرّمه الله، والدين هو ما شرعه الله فكل تشريع من غيره باطل ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

٩٣١ توحيد الأسماء والصفات ينبنى على أصليين:

- تنزيه الله ﷻ عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

- والإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

٢٩٣٢ فإن قيل: ما وجه إفراد الضمير المجرور في قوله: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١] مع أنه على ما ذكرتم عائد إلى الذكور والإناث من الآدميين والأنعام؟

فالجواب: أن من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً.

ومثاله في الضمير: ﴿قَدْ أَرَأَيْتَ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُم بِهِ﴾.

فالضمير في قوله: ﴿يَأْتِيَكُم بِهِ﴾ مفرد، مع أنه راجع إلى السمع والأبصار والقلوب.

فقوله: ﴿يَأْتِيَكُم بِهِ﴾ أي: بما ذكر من سمعكم وأبصاركم وقلوبكم.

ومثاله في الإشارة: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْتِكَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]؛ أي: بين ذلك المذكور من فارض وبكر.

٢٩٣٣ قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى: ١٢].

هي مفاتيحهما، وهو جمع لا واحد له من لفظه، فمفردها: إقليد، وجمعها: مقاليد على غير قياس، والإقليد: المفتاح؛ من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن رجوع الضمير أو الإشارة بصيغة الإفراد إلى مثنى أو مجموع باعتبار ما ذكر مثلاً.

٢٩٣٤ قوله تعالى: ﴿يَجْتَبِئُ إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾

[الشورى: ١٣].

الاجتباء في اللغة العربية معناه: الاختيار والاصطفاء.

٩٣٥ الذي يظهر لي: أن الميزان في سورة «الشورى» وسورة «الحديد» هو العدل والإنصاف، والميزان في سورة «الرحمن» هو الميزان المعروف، أعني: آلة الوزن والدليل: أنه عبّر بإنزال الميزان لا بوضعه في سورة الشورى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [١٧]. وقال في الحديد: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، أما في سورة الرحمن فقد عبّر بالوضع لا الإنزال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧]، ثم أتبع ذلك بما يدل على أن المراد به آلة الوزن: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

٩٣٦ عمل الكافر الذي يتقرب به إلى الله يجازى به في الدنيا، ولا حظ له منه في الآخرة ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] واعلم أن هذا الذي ذكرنا أدلته من أن الكافر ينتفع بعمله الصالح في الدنيا مقيد بمشيئة الله جلَّ جلاله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

٩٣٧ قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا شُكْرَ عَلَيْهِ آخِرًا إِلَّا الْوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

أي: إلا أن تودوني في قرابتي التي بيني وبينكم، فتكفوا عني إذاكم وتمنعوني من أذى الناس؛ فهذا الذي سألهم ليس بأجر على التبليغ؛ لأنه مبذول لكل أحد؛ لأن كل أحد يوده أهل قرابته وينتصرون له من أذى الناس.

٩٣٨ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: ٣٢].
الجواري السفن واحدها جارية سميت جارية لأنها تجري في

البحر كالأعلام؛ أي: كالجبال شبه السفن بالجبال لعظمها.

٩٣٩ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْنَبُونَ كَيْدَ الْإِيمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ [الشورى: ٣٧].

الفواحش من جملة الكبائر والأظهر أنها من أشنعها؛ لأن الفاحشة في اللغة: هي الخصلة المتناهية في القبح.

٩٤٠ قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ

نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

سمي القرآن نوراً؛ لأنه يضيء الحق ويزيل ظلمات الجهل والشك والشرك.



سُورَةُ الزَّخْرَفِ

٣٩٤١ قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ [الزخرف: ٨].

فأهلكنا قوماً أشد بطشاً من كفار مكة؛ أي: أكثر منهم عدداً وعُدداً وجلداً؛ فعلى الأضعف الأقل أن يتعظ بإهلاك الأقوى الأكثر.

٣٩٤٢ قوله تعالى: ﴿وَلَدَى حَقِّ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا﴾ [الزخرف: ١٢].

﴿الْأَزْوَاجِ﴾: الأصناف والزوج تطلقه العرب على الصنف. ومن إطلاق الأزواج على الأصناف في القرآن قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِمُ أَزْوَاجًا﴾ [ص: ٥٨].

٣٩٤٣ قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا

لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

سبحان: تنزيه الله أكمل التنزيه وأتمه، عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، ومقرنين؛ أي: مطيقين، ومنه قول ابن معدي كرب: لقد علم القبائل ما عليل لنا في النائبات بمقرنيننا

٣٩٤٤ قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْغَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ

مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾؛ لأن الأنثى غالباً لا تقدر على القيام بحجتها ولا الدفاع عن نفسها.

٣٩٤٥ من إطلاق الأمة بمعنى الشريعة والدين كما في هذه الآية: قوله تعالى عن الكفار: ﴿إِنَّا وَحَدَّثَنَا إِتَاءًا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]؛ أي: على شريعة وملة ودين.

٣٩٤٦ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

بريء من عبادة كل معبود إلا المعبود الذي خلقه وأوجده فهو وحده معبوده. ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾؛ أي: خلقتني يدل على أنه لا يستحق العبادة إلا الخالق وحده ﷻ.

٣٩٤٧ لا إله إلا الله: نفي وإثبات فمعنى النفي منها هو البراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات، وذلك في قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] ومعنى الإثبات منها هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله.

وذلك في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦].

٣٩٤٨ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

يعنون بالقريتين: مكة والطائف، وبالرجلين من القريتين: الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود.

٣٩٤٩ من إطلاق الرحمة على النبوة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ

لِيَسْتَخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

٩٥٠ قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

ومعنى تسخير بعضهم لبعض - خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض؛ لأن نظام العالم في الدنيا يتوقف قيامه على ذلك.

٩٥١ قوله تعالى: ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

يعني: أن النبوة والاهتداء بهدى الأنبياء، وما يناله المهتدون يوم القيامة خير مما يجمعه الناس في الدنيا من حطامها.

٩٥٢ والحق أن الأرزاق قسمة الخلاق، فهو أرأف بالعباد من أنفسهم، وليس في خزائنه من نقص ولكنها الحكمة لمصلحة عباده، فهو سبحانه يعطي بقدر، ولا يمسك عن قتر، ﴿لَنَحْنُ قَسَمًا بِيَتِّهِمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

٩٥٣ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ سَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

من قولهم: عشا - بالفتح - عن الشيء يعشو - بالضم - إذا ضعف بصره عن إدراكه، وترتيب الجزاء على الشرط يدل على أن سبب تقييضه له هو غفلته عن ذكر الرحمن.

٩٥٤ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اُنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿ءَاسَفُونَا﴾ معناه: أغضبونا وأسخطونا.

٩٥٥ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

والفاعل المحذوف في قوله: ﴿ضَرَبَ﴾ قال جمهور المفسرين: هو عبد الله بن الزبيري السهمي قبل إسلامه.

٩٥٦ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧].

قرأه ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة (يصدون) بكسر الصاد والمعنى: يضجون ويصيحون، وقيل: يضحكون.

٩٥٧ المجادلة الباطلة: هي المراد من قوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨] والمجادلة الحقّة هي المراد من قوله: ﴿وَجَدَلْتَهُمْ بِالْحَقِّ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٩٥٨ قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الزخرف: ٥٨].
ما ضربوا عيسى مثلاً إلا من أجل الجدل والخصومة بالباطل والمراد بالجدل هنا: الخصومة بالباطل لقصد الغلبة بغير حق.

٩٥٩ نزول عيسى في آخر الزمان حياً علم للساعة؛ أي: علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أسرارها الدالة على قربها ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

٩٦٠ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ إِلْيَاسَ﴾ [الزخرف: ٦٥].

قوله: ﴿ظَلَمُوا﴾؛ أي: كفروا، بدليل قوله في مريم في القصة بعينها: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

٩٦١ قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾

[الزخرف: ٧٠].

﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ فيه لعلماء التفسير وجهان:

أحدهما: أن المراد بأزواجهم نظرائهم وأشباههم في الطاعة وتقوى الله.

والثاني: أن المراد بأزواجهم نساؤهم في الجنة؛ لأن هذا الأخير أبلغ في التنعم والتلذذ من الأول.

ومفرد الأزواج زوج بلا هاء، وأن الزوجة بالتاء لغة لا لحن، خلافاً لمن زعم أن الزوجة لحن من لحن الفقهاء.

﴿تُحْبَرُونَ﴾: أقوال العلماء فيه راجعة إلى شيء واحد، وهو أنهم يكرمون بأعظم أنواع الإكرام وأتمها.

٩٦٢ قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

﴿لِيَقْضِ﴾: اللام لام الدعاء، مرادهم سؤال مالك خازن النار أن يدعو الله لهم بالموت؛ أي: ليمتنا فنستريح بالموت من العذاب.

٩٦٣ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[الزخرف: ٨٤].

معناه: أنه هو وحده الذي يعظم ويعبد في السماوات والأرض.

٩٦٤ يكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم

بربوبيته ﷻ على وجوب التوحيد في عبادته: ﴿وَلَيْن سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

٩٦٥ قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن حَفَّهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

الاعتراف بربوبيته ﷺ لا يكفي في الدخول في دين الإسلام إلا بتحقيق معنى لا إله إلا الله نفيًا وإثباتًا.

٩٦٦ دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ١ - توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال ﷻ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن حَفَّهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].
- ٢ - توحيده ﷺ في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لا إله إلا الله».
- ٣ - توحيده ﷺ في أسمائه وصفاته.

٩٦٧ قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الزخرف: ٨٩].

الصفح: الإعراض عن المؤاخذه بالذنب، قال بعضهم: وهو أبلغ من العفو، ﴿سَلَامٌ﴾: سلمتم منا لا نسافهكم ولا نعاملكم بمثل ما تعاملونا.

٩٦٨ قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩].

وكثير من أهل العلم يقول: إن قوله - تعالى -: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ وما في معناه - منسوخ بآيات السيف، وجماعات من المحققين يقولون: هو ليس بمنسوخ. والقتال في المحل الذي يجب فيه القتال والصفح عن الجهلة والإعراض عنهم - وصف كريم، وأدب سماوي، لا يتعارض مع ذلك، والعلم عند الله - تعالى -.

سُورَةُ الدُّخَانِ

٩٦٩ قوله تعالى: ﴿يَا أَرْسُلْهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

أي: كثيرة البركات والخيرات ولا شك أن ليلة هي خير من ألف شهر كثيرة البركات والخيرات جداً.

وقد بين - تعالى - أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، التي أنزل فيها القرآن من شهر رمضان، في قوله - تعالى -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك في أنها دعوى باطلة لمخالفتها لنص القرآن الصريح. ولا شك كل ما خالف الحق فهو باطل. فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح بلا مستند كتاب، ولا سُنَّة صحيحة.

٩٧٠ قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤، ٥].

﴿فِيهَا﴾ أي: يفصل ويبين، ويكتب في الليلة المباركة التي هي ليلة القدر ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: ذي حكمة بالغة.



سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

٩٧١ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَانٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَأَخْنَفُ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٣ - ٥].

ذكر ﷺ في هذه الآيات الكريمة، من أول سورة «الجاثية» - ستة براهين من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده - تعالى - .

الأول منها: خلقه السماوات والأرض.

الثاني: خلقه الناس.

الثالث: خلقه الدواب.

الرابع: اختلاف الليل والنهار.

الخامس: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.

السادس: تصريف الرياح.

وذكر أن هذه الآيات والبراهين إنما ينتفع بها المؤمنون الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه وآياته، فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم.

ولذا قال: ﴿لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾، ثم قال: ﴿ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، ثم قال: ﴿ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

٩٧٢ لفظ الآية يطلق في القرآن العظيم إطلاقين:

- إطلاق الآية على الشرعية الدينية، كآيات هذا القرآن العظيم؛ كقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْوِهٌ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٦].

والثاني: إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية؛ كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

٩٧٣ قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧].

الأفَّاك: كثير الإفك، وهو أسوأ الكذب، والأثيم: هو مرتكب الإثم بقلبه وجوارحه، فهو مجرم بقلبه ولسانه وجوارحه. قال بعض العلماء: ويل: واد في جهنم. والأظهر أن لفظة ويل كلمة عذاب وهلاك، وأنها مصدر لا لفظ له من فعله.

٩٧٤ قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ وَرِيقٌ فِي جَهَنَّمَ﴾ [الجاثية: ١٠].

أي: أمامه جهنم يصلها يوم القيامة، كما قال - تعالى -: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]؛ أي: أمامهم ملك.

٩٧٥ قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

[الجاثية: ٢٠].

هذا القرآن، براهين قاطعة، وأدلة ساطعة، على أن الله هو المعبود وحده، وأن ما جاء به محمد ﷺ حق.

٩٧٦ قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

[الجاثية: ٢٠].

وفي هذه الآية الكريمة سؤال عربي معروف، وهو أن المبتدأ الذي هو قوله: هذا اسم إشارة إلى مذكر مفرد، والخبر الذي هو بصائر جمع مكسر مؤنث. فيقال: كيف يسند الجمع المؤنث المكسر إلى المفرد المذكر؟

والجواب: أن مجموع القرآن كتاب واحد، تصح الإشارة إليه بهذا، وهذا الكتاب الواحد يشتمل على براهين كثيرة، فصح إسناد البصائر إليه لاشتماله عليها كما لا يخفى.

٩٧٧ الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأبصار في قوله **جَلَّالَهُ**: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهَ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَفَلْجِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجمانية: ٢٣].



سُورَةُ الْاٰحْقَافِ

٣٩٧٨ قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

صيغة الجمع في قوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ للتعظيم وقوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: خلقاً متلبساً بالحق.

٣٩٧٩ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

الأظهر في قوله: ﴿بِدْعًا﴾ أنه فعل بمعنى المفعول فهو بمعنى مبتدع والمبتدع هو الذي أبدع على غير مثال سابق.

٣٩٨٠ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بِيَكُمُ﴾ [الأحقاف: ٩].

في دار الدنيا فما أدري أأخرج من مسقط رأسي، أو أقتل وما أدري ما يفعل بكم: أيخسف بكم، أو تنزل عليكم حجارة ونحو ذلك.

٣٩٨١ قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾

[الأحقاف: ١٠].

والشاهد في الآية: هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، كما قال الجمهور وعليه هذه الآية مدنية في سورة مكية.

٩٨٢ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

والخوف في لغة العرب: الغم من أمر مستقبل، والحزن: الغم من أمر ماضٍ.

٩٨٣ قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

أنها في حال حملها به تلاقي مشقة شديدة ومن المعلوم ما تلاقيه الحامل من المشقة والضعف إذا أثقلت وكبر الجنين في بطنها.

٩٨٤ قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

أنها في حالة وضع الولد تلاقي من ألم الطلق وكربه مشقة شديدة، كما هو معلوم وهذه المشاق العظيمة التي تلاقيها الأم في حمل الولد ووضعه، لا شك أنها يعظم حقها بها، ويتحتم برها والإحسان إليها، اللهم ارزقنا بر والدينا آمين.

٩٨٥ أجمع العلماء أن أقل مدة للحمل ٦ أشهر؛ لقوله ﷺ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] بقي عن مدة الفصال من مدة الـ ٣٠ شهراً لمدة الحمل ٦ أشهر.

٩٨٦ قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]

وأشهر الأقوال في ذلك: أنهم خمسة، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام -.

[٩٨٧] قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلُغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥].
 ﴿بَلُغٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذا بلاغ؛ أي: هذا القرآن بلاغ من الله إلى خلقه.



سُورَةُ مُحَمَّدٍ

٩٨٨ قوله تعالى: ﴿أَضَلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ١].

أبطل ثوابها فما عمله الكافر من حسن في الدنيا، كقري الضيف؛ وبر الوالدين؛ وحمي الجار؛ وصلة الرحم؛ والتنفيس عن المكروب؛ يبطل يوم القيامة.

٩٨٩ قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

وأظهر الأقوال في معنى وضع الحرب أوزارها: أنه وضع السلاح، والعرب تسمي السلاح وزراً.

٩٩٠ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

معنى نصر المؤمنين لله - نصرهم لدينه وكتابته، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا.

٩٩١ قوله تعالى: ﴿فَأَحْطَ أَعْمَلُهُمْ﴾ [محمد: ٩].

أي: أبطلها؛ لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة.

٩٩٢ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

وهذه الولاية المختصة بالمؤمنين هي ولاية الثواب والنصر

والتوفيق والإعانة، فلا تنافي أنه مولى الكافرين ولاية ملك وقهر ونفوذ ومشية؛ كقوله: ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٢٠].

٩٩٣ الكفار يوم القيامة إذا جاءتهم الساعة يتذكرون ويؤمنون بالله ورسله وأن الإيمان في ذلك الوقت لا ينفعهم لفوات وقته ﴿فَإِنَّ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

٩٩٤ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى: بل، بين أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير ولا لفهم قرآن؛ تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به أمر لا بد منه للمسلمين، وقد بين النبي ﷺ أن المشتغلين به هم خير الناس: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن تصفحها وتفهمها وإدراك معانيها والعمل بها فإنه معرض عنها غير متدبر لها فيستحق الإنكار والتوبيخ.

٩٩٥ قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَزِيْرَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

أي: لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَنْ يَزِيْرَكُمْ﴾ أصله من الوتر، وهو الفرد. فأصل قوله: ﴿وَلَنْ يَزِيْرَكُمْ﴾: لن يفردكم ويجردكم من أعمالكم؛ بل يوفيكُم إياها.

٩٩٦ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [محمد: ٣٦].

ولا يسألکم النبي ﷺ أموالکم أجراً على ما بلغکم من الوحي المتضمن لخير الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الْفَتْحِ

٩٩٧ قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١].

التحقيق الذي عليه الجمهور أن المراد بهذا الفتح: صلح الحديبية لأنه فتح عظيم.

صلح الحديبية هو السبب الذي تهيأ به للمسلمين أن يجتمعوا بالكفار فيدعوهم إلى الإسلام فدخل كثير من قبائل العرب بسبب ذلك في الإسلام.

الذين شهدوا صلح الحديبية مع النبي ﷺ عام ست كانوا ألفاً وأربعمائة، وعند خروجه إلى مكة في رمضان عام ثمان كان معه عشرة آلاف مقاتل بسبب صلح الحديبية.

ولفظ الماضي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ يدل على أن ذلك الفتح قد مضى، فدعوى أنه فتح مكة ولم يقع إلا بعد ذلك بقرب سنتين - خلاف الظاهر.

وسورة الفتح نزلت بعد صلح الحديبية في طريقه ﷺ راجعاً إلى المدينة، والآية التي في فتح مكة دلت على الاستقبال لا على الماضي، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

٩٩٨ والحق الذي لا شك فيه أن الإيمان يزيد وينقص، كما

عليه أهل السُّنَّة والجماعة، وقد دل عليه الوحي من الكتاب والسُّنَّة ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٩٩٩ يجازي المشركين والمشركات والمنافقين والمنافقات بثلاث عقوبات، وهي: غضبه ولعنته ونار جهنم ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

قوله في الغضب: ﴿وَمَنْ يَحِلِّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه: ٨١].
 وقوله في اللعنة: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فْلَنَ نَجَدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].
 وقوله في جهنم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

١٠٠٠ قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

والسكينة تشمل الطمأنينة والسكون إلى الحق والثبات والشجاعة عند البأس.



الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم الشيخ الدكتور عبد العزيز السدحان	٥
مقدمة المؤلف	١١
ترجمة العلامة الشنقيطي	١٥
• سُورَةُ الْفَاتِحَةِ	٢٥
• سُورَةُ الْبَقَرَةِ	٢٧
• سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ	٤٢
• سُورَةُ النَّسَاءِ	٤٦
• سُورَةُ الْمَائِدَةِ	٥٢
• سُورَةُ الْأَنْعَامِ	٥٧
• سُورَةُ الْأَعْرَافِ	٦٠
• سُورَةُ الْأَنْفَالِ	٦٤
• سُورَةُ التَّوْبَةِ	٦٧
• سُورَةُ يُوسُفَ	٦٩
• سُورَةُ هُودٍ	٧٠
• سُورَةُ يُسُفَ	٧٣
• سُورَةُ الرَّعْدِ	٧٧
• سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ	٧٩
• سُورَةُ الْحَجَرِ	٨١

الموضوع	الصفحة
• سُورَةُ الْفَخْرِ	٨٥
• سُورَةُ الْاِسْرَاءِ	٩٣
• سُورَةُ الْكَهْفِ	١٠٥
• سُورَةُ مَرْيَمَ	١٣١
• سُورَةُ طه	١٤٨
• سُورَةُ الْاَنْبِيَاءِ	١٧٤
• سُورَةُ الْحَجِّ	١٨٢
• سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ	١٩٦
• سُورَةُ النَّوْرِ	٢٠٣
• سُورَةُ الْفُرْقَانِ	٢١٠
• سُورَةُ الشُّجَرَاءِ	٢١٦
• سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٢١٨
• سُورَةُ الْقَصَصِ	٢٢١
• سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ	٢٢٣
• سُورَةُ الرُّوْمِ	٢٢٥
• سُورَةُ الْقَمَارِ	٢٢٧
• سُورَةُ التَّحْكِيمِ	٢٢٨
• سُورَةُ الْاِخْرَاقِ	٢٢٩
• سُورَةُ سَبَا	٢٣٣
• سُورَةُ فَطْرٍ	٢٣٥
• سُورَةُ يَسَّ	٢٣٧
• سُورَةُ الصَّافَاتِ	٢٤٠

الصفحة	الموضوع
٢٤٣	• سُورَةُ قَيْنِ
٢٤٦	• سُورَةُ الزُّمَرِ
٢٤٨	• سُورَةُ غَافِرٍ
٢٥١	• سُورَةُ فُصِّلَتْ
٢٥٥	• سُورَةُ الشُّورَى
٢٥٩	• سُورَةُ الزُّمَرِ
٢٦٥	• سُورَةُ الدُّخَانِ
٢٦٦	• سُورَةُ الْجَاثِيَةِ
٢٦٩	• سُورَةُ الْحَقِّ
٢٧٢	• سُورَةُ مُحَمَّدٍ
٢٧٤	• سُورَةُ الْفَتْحِ